(المعتقد الصحيح)

فَضِيلَة الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ صَلَاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ غَانِمٍ

(رحمه الله)

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

- أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٧١]

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقَّ هوَالَّذِي يَقُومُ عَلَى إِسْلَامِهِ وَإِيمَانِهِ كَمَا يَقُومُ عَلَى أُمُورِ حَيَاتِهِ فِي دُنْيَا اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَكَمَا يَقُومُ عَلَى إِقَامَةِ بَيْتِهِ وَإِقَامَةِ عَمَلِهِ وَإِقَامَةِ بَدَنِهِ وَإِقَامَةِ مُسْتَقْبَلِ وَلَدِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى جَاهِدًا عَلَى إِقَامَةِ إِسْلَامِهِ وَإِيمَانِهِ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَقُمْ لَهُ إِسْلَامٌ فَلَنْ يَقُومَ لَهُ إِيمَانٌ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ لَهُ إِيمَانٌ فَلَنْ تَقُومَ لَهُ حَيَاةٌ

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ عَلَى أَدْيَانٍ شَتَّى فَلِلْكَافِرِينَ دِينٌ وَلِلْيَهُودِ دِينٌ وَلِلنَّصَارَى دِينٌ وَلِلْمُلْحِدِينَ دِينٌ وَلِعُبَّادِ الْأَصْنَامِ دِينٌ وَلِأَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ دِينٌ فَدِينٌ يَحْرِفُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَدِينٌ يَحْمِلُ الْمَرْءَ إِلَى جَنَّاتِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَكُلُّهَا فِي الْمُنْتَهَى أَدْيَانٌ مِنْهَا الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَمِنْهَا الْبَاطِلُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ فَضَحَ أَقْوَامًا فِي كِتَابِهِ ادَّعَوْا الْإِيمَانَ وَلَمْ يَنْتَسِبُوا إِلَيْهِ حَقًّا فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨)

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)} [البقرة : ٨-١٠]

لِذَا يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُحَقِّقَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ حَتَّى لَا يُرْزَأَ بِتِلْكَ الرَّزِيَّةِ فَيَكُونَ مُؤْمِنًا بَيْنَ النَّاسِ غَيْرَ مُؤْمِنٍ عِنْدَ رَبِّ النَّاسِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَقَدْ كَتَبَ عُلَمَاؤُنَا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ كُتُبًا وَمُصَنَّفَاتٍ تُمَيِّزُ بَيْنَ أَصْحَابِ الْعَقِيدَةِ الْحَقَّة وَأَصْحَابِ الْعَقِيدَةِ الْبَاطِلَةِ، تُمَيِّزُ بَيْنَ الْإِيمَانِ الرَّاسِخِ وَالْإِيمَانِ الْمُرْتَابِ الَّذِي لَا يَحْمِلُ صَاحِبَهُ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ.

مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ مَا كَتَبَهُ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنُ بَرْجَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْقَيِّمِ (الْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ) قَالَ فِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَقِدَهُ إِذْ هُوَ اعْتِقَادُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتِقَادُ صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَمَنْ خَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِعِقَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ وَمَقْتِهِ وَغَضَبِهِ وَوَعِيدِهِ) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَبيد.

اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هوَ الدِّينُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُدَانَ بِهِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ الْمُعْتَقَدَاتِ فَهِيَ مُعْتَقَدَاتٌ بَاطِلَةٌ لَا تَحْمِلُ أَصْحَابَهَا إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ، بَلْ تَحْمِلُ أَصْحَابَهَا إِلَى نَارٍ تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى.

وَسُمُّوا بِأَهْلِ السُّنَّةِ لِأَنَّهُمْ يَتَمَسَّكُونَ بِالسُّنَّةِ وَيَعَضُّونَ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَسُمُّوا بِالْجَمَاعَةِ لِأَنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي

اعْتَقَدُوه، فَاعْتِقَادٌ صَحِيحٌ يُؤَدِّي إِلَى تَرَابُطٍ وَتَوَادٍّ وَتَحَابٍّ، وَأَمَّا مَنِ ادَّعَى ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِ مِنَ التَّوَادِّ وَالتَّحَابِّ وَالتَّرَابُطِ وَالتَّآلُفِ فَلَيْسَ عَلَى جَادَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَهَذَا الْمُعْتَقَدُ وَالدِّينُ أَيْ هُوَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ بِهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ أَمْرٌ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحَصِّلَهُ لِأَنَّ مَا لَا يَقُومُ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

وَلِمَا لَا يَقُومُ الْمُسْلِمُ عَلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ الْمُعْتَقَدِ وَهُوَ اعْتِقَادُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتِقَادُ صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.فَمَنْ خَالَفَهُمْ فِي مُعْتَقَدِهِمْ فِي اللَّهِ وَفِي مَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِعِقَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ وَمَقْتِهِ وَغَضَبِهِ وَوَعِيدِهِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْخَلْقِ وَالْعَبِيدِ.

وَالَّذِي يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْمُعْتَقَدِ يَكُونُ سَبَبًا فِي تَفْرِيقِ الْأُمَّةِ، يَكُونُ سَبَبًا فِي تَشْتِيتِ شَمْلِهَا، يَكُونُ سَبَبًا فِي تَفْرِيقِ كَلِمَتِهَا.

وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ هَذَا الْمُعْتَقَدَ فَقَدْ دَخَلَ فِي الْفِرَقِ الْهَالِكَةِ الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا فِي النَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَار فِي ذَلِكَ يقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَارَقُوا هَذَا الْمُعْتَقَدَ بِقُلُوبِهِمْ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِأَبْدَانِهِمْ وَسَيَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ وَهُمْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، يَقُولُ عَنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً "قِيلَ وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ "الْجَمَاعَةُ" أَيْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الْحَقّ.

أَخْرَجَ ذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْمُسْلِمُ الْحَقُّ وَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهَذَا الْمُعْتَقَدِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُشَابِهَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ فَقَدْ **(وَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ سَلِمُوا مِنَ الْوَعِيدِ بِالنَّارِ فَقَالَ: "مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِيَ الْيَوْمَ".)** فَهَذَا الْوَصْفُ هُوَ وَصْفُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ يُشَابِهُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَدْيِهِ وَفِي دَعْوَتِهِ وَفِي أَخْلَاقِهِ وَفِي شِيَاتِهِ وَفِي سُلُوكِهِ يَجَاهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الْحَقِّ إِلَى طَرِيقِ الصِّدْقِ الَّذِي سَارَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ فِيهِ أَصْحَابُهُ لا يَنْظُرُون إِلَى مَا طَرَأَ عَلَى الْأُمَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ تَغَيُّرَاتٍ فِي أَخْلَاقِهَا وَتَغَيُّرَاتٍ فِي مُعْتَقَدَاتِهَا وَتَغَيُّرَاتٍ فِي أَحْكَامِهَا لِأَنَّهُمْ يَقِيسُونَ الدِّينَ الْحَقَّ عَلَى الْمِقْيَاسِ الْأَعْدَلِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ.

هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْآجُرِّيُّ فِي الشَّرِيعَةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قِيلَ "وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ "أَيْ مَنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ بِمَبْعَدَةٍ عَنِ النَّارِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي".

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمِثْلِيَّةِ وَلَمْ يَقُلْ بِالنِّدِّيَّةِ وَالنَّظِيرِ لِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ كَائِنًا مَنْ كَانَ أَنْ يُوَافِقَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَلَكِنْ يَجْتَهِدُ أَنْ يَحْذُوَ حُذْوَهُمْ وَأَنْ يَسْعَى سَعْيَهُمْ وَأَنْ يُقَلِّدَهُمْ فِيمَا كَانُوا فِيهِ وَعَلَيْهِ.

(فهذا ضَابِطُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ متَمَسُّكُونَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ عَاضُّونَ عَلَى ذَلِكَ بِالنَّوَاجِذِ يَعْنِي يَجْتَهِدُونَ أَنْ لَا يَتَفَلَّتَ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ) كَمَا يَعَضُّ الرَّجُلُ عَلَى الشَّيْءِ بِنَوَاجِذِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ لَا يَتَفَلَّتَ مِنْهُ، **(وَلِذَا كَانُوا)** أَوْلَى النَّاسِ بِالْوَصْفِ بِـ**(الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فَهُمُ النَّاجُونَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّالِمُونَ مِنَ الْبِدَعِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ)** الَّذِينَ تَكَفَّلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِنَصْرِهِمْ عَلَى مَنْ عَادَاهُمْ وَمَنْ خَالَفَهُمْ وَمَنْ خَذَلَهُمْ.

فإِذَا مَا تَأَخَّرَ النَّصْرُ فَلْيَعْلَمْ بَلْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ يَنْبَغِي أَنْ يُرَاجِعُوا أَنْفُسَهُمْ فِيها وَذَلِكَ **(لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ". أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا من حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ)**

وَلِمَا لَا يَظْهَرُونَ وَالْحَقُّ مَعَهُمْ؟ وَلِمَا لَا يَظْهَرُونَ وَالصِّدْقُ شِعَارُهُمْ؟ وَلِمَا لَا يَظْهَرُونَ وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُؤَيِّدُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ؟

(وَالظُّهُورُ هُنَا بِمَعْنَى النَّصْرِ قَالَ تَعَالَى: {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف: ١٤].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات : ١٧٣]

(فَهُمْ غَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ) عِنْدَ الْمُوَاجَهَةِ الْقِتَالِيَّةِ، وَهُمْ غَالِبُونَ **(بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ)**عِنْدَ الْمُوَاجَهَةِ الْجَدَلِيَّةِ وَالدَّعْوِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ، وَالْحَقُّ أَبْلَجُ، وَالْبَاطِلُ لَجْلَجٌ، وَهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، أَبْدَانُهُمْ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ أَرْوَاحُهُمْ، وَمُعْتَقَدُهُمْ يَجْمَعُهُمْ عَلَى عَمَلٍ وَاحِدٍ وَأَمْرٍ وَاحِدٍ؛ **(فَهُمْ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَتَعَدَّدُ)** وَلَا تَتَحَزَّبُ وَلَا تَتَشَرذم، **(وَلِذَا سُمُّوا بِالْجَمَاعَةِ،**

قَالَ تَعَالَى {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ}[يونس : ٣٢]

و لَيْسَ لُهُمُ اسْمٌ يُعْرَفُونَ بِهِ سِوَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ) فَالْإِسْلَامُ كَالْمَاءِ الطَّلْقِ لَا يُقَيَّدُ بِقَيْدٍ وَلَا يُوصَفُ بِوَصْفٍ، كَمَا أَنَّ الْمَاءَ

الطَّلْقَ لَا يَصِحُّ الْوُضُوءُ بِهِ إِلَّا لِاحْتِفَاظِهِ بِإِطْلَاقِهِ، كَذَلِكَ الْمُسْلِمُ لَا يَصِحُّ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا يُغَايِرَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي اسْمِهِ وَرَسْمِهِ وَدَلِّهِ وَهَدْيِهِ.

فَهُمْ يُعْرَفُونَ بِالْإِسْلَامِ وَمَا دَلَّ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الْأَلْفَاظِ كَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَوْ كَالطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ، أَوْ كَأَهْلِ الْحَقِّ.

(قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: "عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ لَيْسَ لَهُمْ لَقَبٌ يُعْرَفُونَ بِهِ، لَا جَهْمِيٌّ وَلَا قَدَرِيٌّ وَلَا رَافِضِيٌّ").

وَلْيُنْتَبَهْ أَنَّ هَذِهِ أَوْصَافٌ لَيْسَتْ بِأَسْمَاءٍ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ وَالْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ إِنَّمَا هِيَ أَوْصَافٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِالْإِسْلَامِ عَلَى وَجْهِهِ الصَّحِيحِ، وَأَمَّا مَنْ يَدَّعِي مُدَّعٍ فَيَقُولُ أَنَا فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا، وَيَدَّعِي أَنَّهُ قَدْ حَازَ الْحَقَّ مِنْ بَابِهِ وَصَارَ مَعَهُ فِي كُلِّ جَانِبِهِ فَيُخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَوَرَّطَ فِي تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُمْ أَهْلُ دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هُمْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، هُمُ الَّذِينَ انْتَسَبُوا حَقًّا إِلَى الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

وَقَدْ (سُئِلَ) الْإِمَامُ مَالِكٌ **(رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ السُّنَّةِ، قَالَ: "مَا لا اسمَ لَهُ سِوَى السُّنَّةِ")** السُّنَّةُ هِيَ مَا لا اسمَ لَهَا سِوَى السُّنَّةِ.**(يَعْنِي أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَيْسَ لَهُمُ اسْمٌ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ سِوَى السُّنَّةِ).**

وَعَقِيدَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ عُنِيَ بِتَوْثِيقِهَا وَبَيَانِ أَدِلَّتِهَا وَشَرْحِهَا جَمَاعَاتٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْكِبَارِ فِي مُصَنَّفَاتٍ كَثِيرَةٍ اسْتِقْلَالًا وَضِمْنًا، مِنْهَا الْمُؤَلَّفَاتُ الْمَوْسومَةُ بِالسُّنَّةِ أَيِ الْمُعْتَقَدِ، وَهِيَ تربو عَلَى مئتين وخمشين مُؤَلَّفَا مِنْهَا:

**(السُّنَّةُ) لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ و(السُّنَّةُ) لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ و(السُّنَّةُ) لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ و(السُّنَّةُ) لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ و(السُّنَّةُ) لِلْخَلَّال و(السُّنَّةُ) لِأَحْمَدَ بْنِ الْفُرَاتِ أَبِي مَسْعُودٍ الرَّازِيِّ و(السُّنَّةُ) لِأَسَدِ بْنِ مُوسَى و(السُّنَّةُ) لِابْنِ الْقَاسِمِ صَاحِبِ مَالِكٍ و(السُّنَّةُ) لِمُحَمَّدِ

بْنِ سَلَامٍ الْبِيكَنْدِيّ و(الصِّفَاتُ وَالرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ) لِنُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ و(السُّنَّةُ) لِلْأَثْرَمِ و(السُّنَّةُ) لِحَرْبِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْكَرْمَانِيّ و(السُّنَّةُ) لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ و(السُّنَّةُ) لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا و(السُّنَّةُ) لِابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ و(التَّبصيرُ فِي مَعَالِمِ الدِّين) لِابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ أَيْضًا و(السُّنَّةُ) لِلطَّبَرَانِيّ و(السُّنَّةُ) لِأَبِي الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيّ و(السُّنَّةُ لِأَبِي الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيّ و(السُّنَّةُ) لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيّ و(عَقِيدَةُ السَّلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ) لِلصَّابُونِيّ و(الْإِبَانَةُ) لِابْنِ بَطَّةَ و(التَّوْحِيدُ) لِابْنِ خُزَيمة و(التَّوْحِيدُ) لِابْنِ مَنْدَهْ و(الْإِيمَانُ) لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ و(الْإِيمَانُ) لِأَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ و(شَرْحُ السُّنَّةِ) لِلْمُزَنِيّ صَاحِبِ الشَّافِعِيّ و(شَرْحُ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ) لِابْنِ شَاهِينَ و(السُّنَّةُ) الْمُسَمَّاةُ (بِالْحُجَّةِ فِي بَيَانِ الْمَحَجَّةِ) و(شَرْحُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ) لِقَوَّامِ السُّنَّةِ أَبِي الْقَاسِمِ التَّيْمِيّ الْأَصْبَهَانِيّ و(أصُولُ السُّنَّةِ) لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي

زَمَنينَ وَ(الشَّرِيعَةُ) للآجري وَ(اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ) لِأَبِي بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيّ وَ(السُّنَّةُ) لِلْبَرْبَهَارِيّ وَ(الْإِيمَانُ) لِابْنِ مَنْدَهْ وَ(الْإِيمَانُ) لِلْعَدَنِيّ وَ(الْعَرْش) لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَ(الْقَدَرُ) لِابْنِ وَاهٍ وَ(الْقَدَرُ) لِأَبِي دَاوُدَ وَ(الرُّؤْيَةُ وَالصِّفَاتُ) وَ(النُّزُولُ) لِلدَّارَقُطْنِيّ وَ(رِسَالَةُ السِّجْزِيّ إِلَى أَهْلِ زَبِيد) لِأَبِي نَصْرٍ السِّجْزِيّ وَ(جَوَابُ أَهْلِ دِمَشْقَ فِي الصِّفَاتِ) لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيّ وَ(السُّنَّةُ) لِأَبِي أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِيّ الْمَعْرُوفِ بِالْعَسَّالِ وَ(السُّنَّةُ) لِيَعْقُوبَ الْفَسَوِيّ وَ(السُّنَّةُ) لِلْقَصَّابِ وَ(أُصُولُ السُّنَّةِ) لِأَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيّ وَ(السُّنَّةُ) لِحَنْبَلِ بْنِ إِسْحَاقَ وَ(الْأُصُولُ) لِأَبِي عُمَرَ الطَّلَمْكَانِيّ وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ كثير.

فَهَؤُلَاءِ عُلَمَائنا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ فِي كُلِّ جِيلٍ وَفِي كُلِّ عَصْرٍ يُبَيِّنُوا أُصُولَ هَذَا الدِّينِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقِيمَ الْحُجَّةَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ، فَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ رَغْبَةً فِي تَصْنِيفِ الْكُتُبِ وَلَكِنْ تَسْتَجِدُّ الْبِدَعُ وَتَظْهَرُ

الضَّلَالَاتُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يُبَيِّنُ عَوَارَ مَا ظَهَرَ فِي بَلَدِهِ أَوْ فِي قُطْرِهِ أَوْ فِي زَمَانِهِ مِنْ ضَلَالَاتٍ وَعَمَايَاتٍ فَيُبَصِّرُ النَّاسَ بِالْحَقِّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَقَدَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ:

"الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ."

الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ أَمْرٌ عَمَلِيٌّ الَّذِي جَعَلَهُ يَدْخُلُ فِي الْأُمُورِ الِاعْتِقَادِيَّةِ لِأَنَّ أَقْوَامًا كَذَّبُوا بِذَلِكَ وَدَفَعُوهُ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يحْرَصُونَ عَلَى مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا الْمَسْحَ أَصْلًا مِنَ الْأُصُولِ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ فَقَدْ خَالَفَ السُّنَّةَ وَابْتَعَدَ عَنْ أَهْلِهَا.

(وَهَكَذَا كَتَبَ مَنْ جَاءَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ) يَعْنِي هَكَذَا كَتَبَ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ

(كَكُتُبِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَعَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيِّ وَابْنِ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ وَابْنِ تَيْمِيَّةَ وَابْنِ الْقَيِّمِ وَالذَّهَبِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَغَيْرِهِمْ فِي بَيَانِ الْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ وَالِاحْتِجَاج لَهُ وَكَشْف شُبُهَاتِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ.)

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

"وَنَحْنُ نَذْكُرُ جُمَلًا مِنْ اعْتِقَادِ هَؤُلَاءِ الصَّفْوَةِ عَلَى وَجْهِ الِاخْتِصَارِ وَمَا التَّوْفِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ أنِيبُ"

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الْمُعْتَقَدُ الصَّحِيحُ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ)

عُلَمَائنا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ يُقَسِّمُونَ التَّوْحِيدَ إِلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثٍ:

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَلَا يَصِحُّ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ بِغَيْرِ الْآخَرِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ تَوْحِيدَ رُبُوبِيَّةٍ فَلَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ التَّوْحِيدُ حَتَّى يَضُمَّ إِلَيْهِ تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَلَمْ يَضُمَّ إِلَى ذَلِكَ تَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لَمْ يَنْفَعْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُوَحِّدُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَوْحِيدًا رُبُوبِيَّة وَلَكِنْ لَمْ يَكُونُوا يُوَحِّدُونَهُ تَوْحِيدَ إِلَهِيَّةٍ، وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَانُوا يُوَحِّدُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَوْحِيدَ رُبُوبِيَّةٍ وَيُوَحِّدُونَهُ تَوْحِيدَ إِلَهِيَّةٍ عَلَى زَعْمِهِمْ بِمَا زَعَمُوا وَمَعَ ذَلِكَ كَفَرَ {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} [المائدة: ٧٣]

وَأَهْلُ الْفِرَقِ وَحَّدُوا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ تَوْحِيدًا رُبُوبِيَّةً وَتَوْحِيدًا إِلَهِيَّةً وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَضْبِطُوا تَوْحِيدَ اللَّهِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَنَسَبُوا إِلَيْهِ صِفَاتٍ لَيْسَتْ لَهُ، وَمَنَعُوا صِفَاتٍ هِيَ لَهُ وَأَوَّلُوا

وَعَطَّلُوا وَكَيَّفُوا وَمَثَّلُوا فَصَارُوا إِلَى النَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَار كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لِذَا يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْعَى جَاهِدًا إِلَى تَصْحِيحِ تَوْحِيدِهِ فِي أَقْسَامِهِ الثَّلَاثِ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَهَذَا هُوَ الْمِعْيَارُ الْمُمَيِّزُ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَقِيسَ مَا عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِهِ.

فَالْمُعْتَقَدُ الصَّحِيحُ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ يَتَلَخَّصُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ:

أولاً:**(يَعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ مُتَفَرِّدٌ بِالْخَلْقِ وَالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ.)**

فَلَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، لَا خَالِقَ لِهَذَا الْخَلْقِ إِلَّا اللَّهُ، لَا مَالِكَ لِهَذَا الْمُلْكِ إِلَّا اللَّهُ، لَا مُدَبِّرَ لِمَا يَجْرِي فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ.هَذَا يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَغِيبَ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ لَا فِي نَفْسِهِ وَلَا فِي

أَرْضِهِ وَلَا فِي وَلَدِهِ وَلَا فِي زَرْعِهِ بَلْ فِي شُؤُونِهِ جَمِيعًا مِنْ يَقَظَتِهِ إِلَى مَنَامِهِ وَمِنْ مِيلَادِهِ إِلَى مَمَاتِهِ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ لَا يَجْرِي وَحْدَهُ، وَهَذَا الْمُلْكَ لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ، وَهَذِهِ التَّدَابِيرَ كُلَّهَا مِنَ اللَّهِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ.وَفِي ذَلِكَ **يَقُولُ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤]**

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِكَلِمَةٍ قَالَ لَهَا كُونِي فَكَانَتْ وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَا عَرْشِهِ عُلُوًّا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَالْمُلْكُ قَائِمٌ بِأَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ بِتَسْخِيرِهِ وَقَهْرِهِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْخَالِقُ وَهُوَ الْآمِرُ فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ وَهُوَ الَّذِي يَأْمُرُ وَالْكَوْنُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ دَائِرٌ عَلَى مُقْتَضَى قَضَاءِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدَرِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى:{لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ} [الشورى : ٤٩]

فَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ الْمُلْكَ وَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ الْخَلْقَ.

وَقَالَ تَعَالَى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة: ١١٦].

فَهُوَ المُحي بِكَافَّةِ أَنْوَاعِ الْحَيَاةِ: النَّبَاتِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ، حَتَّى الْجَمَادِيَّةِ.

(تَوْحِيدُ الرُبُوبِيَّةِ مسْتَقَرٌّ فِي نُفُوسِ الْبَشَرِ لَا يُنَازِعُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا،)

إِلَّا مَنْ انْطَمَسَتْ بَصِيرَتُهُ وَتَلَوَّثَتْ فِطْرَتُهُ، وَهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ وَإِنَّمَا هِيَ أَرْحَامٌ تَدْفَعُ وَأَرْضٌ تَبْلَعُ، وَلَا حِسَابَ وَلَا عِقَابَ.

أَمَّا الْكَافَّةُ وَالْعَامُّ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ مُسْلِمِينَ كَانُوا أَوْ كَافِرِينَ. وَفِي ذَلِكَ (قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت : ٦١]

وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ أَيْضًا: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: ١٠٦].

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِيمَانُهُمْ قَوْلُهُمْ: اللَّهُ خَالِقُنَا، ويَرْزُقُنَا، و يُمِيتُنَا، فَهَذَا إِيمَانٌ مَعَ شِرْكِ عِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ،".

فَيَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَعْبُدُونَ الْأَحْجَارَ وَيَعْبُدُونَ الْبَشَرَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ.

"فَلَمْ يَكُنِ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ آلِهَتَهُمْ مُشَارِكَةً لِلَّهِ فِي الْخَلْقِ، بَلْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ الْآلِهَةَ إِنَّمَا يُتَوَسَّلُ بِهَا

إِلَى اللَّهِ وَتُتَّخَذُ شُفَعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: ٣].

هُمْ يَعْتَقِدُونَ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَكِنْ يَجْعَلُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ وَاسِطَةً مِنْ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ.

وَفِي ذَلِكَ (يقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا} [فاطر: ٤٠].

الْمُشْرِكُونَ لَمْ يُنَازِعُوا فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّمَا يُتَوَسَّلُون بِهَا إِلَى اللَّهِ، لَا أَنَّهَا تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ: {إِنَّهُمْ كَانُوا

إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦)} [الصافات : ٣٥-٣٦]

حِينَمَا يُؤْمَرُوا بِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يُطِيعُونَ. قِيلَ لَهُمْ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، (**فَقَالُوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: ٥].)**

فَكَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ تَكُونَ الْآلِهَةُ مُتَعَدِّدَةً حَتَّى يَتَقَلَّبَ الْوَاحِدُ بَيْنَ تِلْكَ الْمَعْبُودَاتِ كَمَا يَشَاءُ عَلَى مَا يَشَاءُ. وَهَكَذَا أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَالضَّلَالَاتِ إِنَّمَا يَبْتَعِدُونَ عَنِ السُّنَّةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُطْلَقَ لَهُمُ الْعَنَانُ لِيَفْعَلُوا مَا يَشَاؤُوا فِي دِينِ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

(قَرَّرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا التَّوْحِيدَ لِإِثْبَاتِهِ وَتَأْكِيدِهِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى وُجُوبِ التَّوْحِيدِ فِي الْأُلُوهِيَّةِ)

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ مُقَرَّرٌ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ شَتَّى، وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُقَرَّرٍ فِي النَّفْسِ، وَلَكِنْ هُوَ لَازِمٌ لِمَا يَأْتِي بَعْدَهُ.

فَيَجْعَلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ وَذِكْرَهُ بَيَانًا لِوَاجِبٍ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ الْعَبْدُ فِيهِ، أَلَا وَهُوَ أَنَّ مَنْ خَلَقَ لَابُدَّ أَنْ يُعْبَدَ طَالَمَا أَنَّهُ الْخَالِقُ وَحْدَهُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ، لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْبُودًا مِنْ دُونِ تِلْكَ الْآلِهَةِ وَهِيَ حَقِيقَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ **(إِذْ أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ،)** وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَهُمَا فِي **(قَوْلِهِ:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١].)**

يَا أَيُّهَا النَّاسُ يَا مَنْ خَلَقَكُمْ اللَّهُ بِيَدِهِ وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ وَخَلَقَ أَرْزَاقَكُمْ اعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ، **{ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ} [الزمر : ٦]**

لِمَا تُصْرَفُونَ عَنْ رَبِّكُمْ عَنْ مَالِكِ أَمْرِكُمُ الَّذِي الْمُلْكُ كُلُّهُ يَعُودُ إِلَيْهِ وَلَا مَعْبُودَ إِلَّا هُوَ، لِذَا بَعْدَ أَنْ عَدَّدَ نِعَمَهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فِي سُورَةِ قُرَيْشٍ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ وَحْدَهُ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ وَهَذَا مِمَّا لَا يَشُكُّونَ فِيهِ وَجَعَلَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي وُجُوبِ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَعَدَّدَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نِعَمَهُ عَلَى الْخَلْقِ لِمَنْ لَهُ بَصَرٌ يُبْصِرُ وَلَهُ عَقْلٌ يَعْقِلُ وَلَهُ نَفْسٌ تَعِي وَتُفَكِّرُ، (**فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ} [النمل: ٥٩].)**

أَلَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ فِيمَا أَنْعَمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ؟ هَذَا يُقَاسُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْآلِهَةِ الْمَزْعُومَةِ. **{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ**

ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل :٥٩- ٦٣].

نِعَمٌ عَظِيمَةٌ: نِعْمَةُ خَلْقِ الْعِبَادِ، ونِعْمَةُ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ونِعْمَةُ إِنْزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ، ونِعْمَةُ إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ، ونِعْمَةُ الْأَشْجَارِ وَالْحَدَائِقِ وَالْبَسَاتِينِ، ونِعْمَةُ اسْتِقْرَارِ الْأَرْضِ وَجَعْلِ الْأَنْهَارِ فِيهَا، ونِعْمَةُ جَعْلِ الْجِبَالِ لَهَا رَوَاسِيَ، ونِعْمَةُ الْحَجْزِ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ، ونِعْمَةُ إِجَابَةِ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ

وَكَشْفِ السُّوءِ، ونِعْمَةُ جَعْلِ الْخِلَافَةِ لِلْإِنْسَانِ مِنْ دُونِ خَلْقِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِدَايَةُ الْإِنْسَانِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، إِرْسَالُ الرِّيَاحِ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، تَذْكِيرٌ بِهَذِهِ النِّعَمِ، بِنِعْمَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ عَلَى أَنَّ الَّذِي جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

وَالسُّؤَالُ هُنَا ليس بالسؤال الاستفهامي وإنما هو السؤال الإنكاري {أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ } أهناك إله يستطيع فعل ذلك

"فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُقِرُّونَ بِأَنَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنَّهُ وَحْدَهُ النَّافِعُ الضَّارُّ بِأَنَّ هَذَا الْإِقْرَارَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ ، إِذْ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ يَدْعُونَهُ كَمَا يَدَّعُونَ اللَّهَ ." يَدَّعُونَ هَذَا الْإِلَهَ الْبَاطِلَ الْمَزْعُومَ كَمَا يَدْعُونَ اللَّهَ الْعَلِيمَ الْحَكِيمَ ،

(وَهَذَا عَيْنُ التَّنَاقُضِ الْمُخَالِفِ لِلشَّرْعِ وَالْعَقْلِ ، إِذْ مَنْ تَفَرَّدَ بِجَمِيعِ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ مِنْ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ ، فَحَقَّ انْ يُفْرَدْ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ

ولهذا أنكر تعالى عليهم بقوله {أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ} ولم يقل أخَالِقٌ مَعَ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ لَا يُنَازِعُونَ فِي هَذَا.

(وَبَيَّنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بُطْلَانَ الشِّرْكِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ. وَهَذَا مُدْرَكٌ بِبَدَاهَةِ الْعَقْلِ) وَالْفِكْرِ وَالنَّظَرِ.

(قَالَ تَعَالَى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون : ٩١])

سبحان الله سبحان الله فَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ انْتِظَامَ الْحَيَاةِ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

{وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}

وَقَالَ تَعَالَى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء : ٢٢]

فَالْحَقُّ فِي بَقَاءِ مُعْتَقَدِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْحَقُّ فِي أَنْ يَعْبُدَ الْمَرْءُ رَبًّا وَاحِدًا مُتَصَرِّفًا خَالِقًا مَالِكًا يُوَحِّدُهُ تَوْحِيدًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي يَدْفَعُهُ وَيُلْزِمُهُ بِمَا بَعْدَهُ مِنْ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ بَرْجَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"الْمُعْتَقَدُ الصَّحِيحُ فِي تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ".**

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وَمِنْ جُمْلَةِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى، لَا يَتَجَاوَزُونَ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ الثَّابِتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"**

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِنَفْسِهِ وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"يُثْبِتُونَ أَلْفَاظَ ذَلِكَ وَيَعْلَمُونَ مَعَانِيَهَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ وَيُفَوِّضُونَ الْكَيْفِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اخْتَصَّ بِهَا فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهَا أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ." وَهَذِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْخَلْقِ لِأَنَّ الْمَرْءَ يُعَيِّنُ مِمَّا حَوْلَهُ مَا يُدْرِكُهُ بِحَوَاسِّهِ بِبَصَرِهِ، بِسَمْعِهِ، بِجَوَارِحِهِ، بِحُدُودِ عَقْلِهِ وَأَمَّا مَا فَوْقَ ذَلِكَ فَلَا يَسْتَطِيعُ

الْمَرْءُ إِدْرَاكَهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُرِيحَ نَفْسَهُ مِنْ عَنَاءِ الْإِطْلَاقَاتِ الْعَقْلِيَّةِ فَلْيَعْتَرِفْ بِعَجْزِهِ، فَهُوَ عَاجِزٌ أَنْ يُحِيطَ بِالرَّبِّ الْكَبِيرِ الْعَظِيمِ، وَعَجْزُهُ بَادٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهُوَ عَاجِزٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِنَفْسِهِ، عَنِ الْإِحَاطَةِ بِجَوَارِحِهِ، عَنِ الْإِحَاطَةِ بِنَبَاتِ أَرْضِهِ، عَنِ الْإِحَاطَةِ بِمَا يَجْرِي بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَوَانِهِ، وَفِي تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي مِنْ حَوْلِهِ.

فَإِذَا عَجَزَ الْمَخْلُوقُ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ الْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ يتَطَّلِعُ إِلَى أَنْ يُدْرِكَ كُنْهَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَالنَّاسُ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ يَعْمَلُونَ بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، يُقَالُ لَهُ احْمِلْ هَذَا الثُّقلَ، فَينْظُرْ هَلْ يسْتَطِيعُ حَمْلَهُ؟ فَإِذَا مَا رَأَى أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ أَقْدَمَ عَلَيْهِ. وَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ حَمْلَهُ يَمْتَنِعُ، وَيُبَالِغُ فِي الِامْتِنَاعِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ يَخْشَى عَلَى نَفْسِهِ. هَذِهِ فِطْرَةُ خَلْقِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْخَلْقَ عَلَيْها.

بَلْ تِلْكَ الدَّابَّةُ الَّتِي يُوصَفُ بِهَا بَعْضُ أَغْبِيَاءِ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُ أَنْتَ كَالْحِمَارِ، الْحِمَارُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَعْقَلُ مِنْ كَثِيرٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ. فَالْحِمَارُ أَعَزَّكُمُ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ صَاحِبُهُ أَنْ يَجْتَازَ بِهِ قَنَاةَ مَاءٍ صَغِيرَةً، فَيَنْظُرُ فِي تِلْكَ الْقَنَاةِ هَلْ يَسْتَطِيعُ عُبُورَهَا؟ فَإِنِ اسْتَطَاعَ مَرَّ بِلَا مُغَالَبَةٍ وَلَا مُعَانَدَةٍ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِنَّهُ يُحْجِمُ عَنْ عُبُورِهَا، وَيُضْرَبُ مَا يُضْرَبُ، وَيُسَاقُ مَا يُسَاقُ، وَلَكِنَّهُ يَمْتَنِعُ عَنْ ذَلِكَ فَيَتَحَمَّلُ الضَّرْبَ، وَيَتَحَمَّلُ الرَّكْلَ وَالدَّفْعَ حِيَاطَةً لِنَفْسِهِ وَحِمَايَةً لَهُ.

وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُطْلِقُونَ الْأَفْكَارَ فِي أَمْرِ الْمُعْتَقَدِ الَّذِي لَا قُدْرَةَ لِعَقْلٍ عَلَى النَّظَرِ فِي شَيْءٍ يَسِيرٍ مِنْهُ، {فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا}

جَاءَ فِي أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَأَلَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَرَاهُ {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي

وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } [الأعراف: ١٤٣].

قَالَ عُلَمَائُنا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ لَمْ يَبْدُ لِلْجَبَلِ مِنْ نُورِ اللَّهِ لَا مِنْ ذَاتِهِ، إِلَّا قَدْرَ أُنمُلة إِصْبَعِ أَحَدِكُمْ.

فَهَذَا الْقَدْرُ مِنْ نُورِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ جَعَلَ الْجَبَلَ دَكًّا. فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَطَلَّعُ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى ذَاتِ اللَّهِ وَكُنْهِه هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ فِيمَا يُفَكِّرُونَ.

فَالْمُسْلِمُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَأَنْ **"يَعْلَمَ مَعْنَاهَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ. وَأَمَّا الْكَيْفِيَّةُ فَيُفَوِّضُونَ الْكَيْفِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اخْتَصَّ بِهَا فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهَا أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ.**

فَهُمْ يَنْطَلِقُونَ فِي هَذَا الْبَابِ الْخَطِيرِ مِنْ أُسُسٍ شَرْعِيَّةٍ ثَابِتَةٍ مَنْ لَزِمَهَا سَلِمَ مِنَ الِانْحِرَافِ."

وَأَكْثَرُ مَا تَرَاهُ فِي دُنْيَا اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنَ اضّطرَابَاتِ نَّفْسِيَّةِ، وَوَسَاوِسَ إِنَّمَا مِنْ دُخُولِ الشَّيْطَانِ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَيدْخَلَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ مَنْ خَلْقك فَيقُولُ جِئْتُ مِنْ أَبِي وَأُمِّي فَيقُولُ مَنْ خَلَقَ أَبَاكَ؟ فَيقُولُ جَاءَ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ آدَمَ وَحَوَّاءَ؟ فَيقُولُ اللَّهُ. فَيقُولُ مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ هَذِهِ وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ لِيُفْسِدَ عَلَى الْإِنْسَانِ عَقْلَهُ.

وَكَمْ مِنْ شَابٍّ صَارَ فِي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَجَاءَتْ إِلَيْهِ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ فَحَرَفَتْهُ إِلَى طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ وَلَمْ يَلْزَمْ حَدَّهُ.

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا أَتَى إِلَى آلَةٍ عَظِيمَةٍ تَحْمِلُ الْمِئِينَ مِنَ الْكِيلُو جِرَامَاتِ وَالْأَطْنَانِ فَقَالَ لِمَنْ يَعْمَلُ عَلَى تِلْكَ الْآلَةِ احْمِلْ عَلَيَّ هَذِهِ (الْمِئِينَ مِنَ الكيلو جرامات) وَهِيَ يَسِيرَةٌ عَلَى الْآلَةِ وضعها على رأسي،هذا الرجل يدخل فيما لا يقوى ولا يقدر عليه،ولكن يتجشم

فيرفع ثُمَّ يدْخِلُ هَذَا الرَّجُلَ تَحْتَهَا فَمَاذَا تَظُنُّ؟ لَوْ أَنَّهُ خَلّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ تِلْكَ الْمِئِينَ إِنَّهَا الْهَلَكَةُ.

هَكَذَا مَنْ يُفَكِّرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {تَفَكَّرُوا فِي آيات اللَّهِ فتدركوا وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ الله فتهلكوا}.

الْهَلَكَةُ فِي تَخَطِّي مَا لَا يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَخَطَّاهُ وَتَجَرُّؤُ الْمَرْءِ عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَ حَدِّهِ فِيهِ وَمُنْتَهَاهُ.

فَيُثْبِتْ لِلَّهِ ما أثبته لِنَفْسِهِ وَأَثْبَتَه لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ أَوْ إِطْلَاقٍ عَقْلِيٍّ أَوْ تَفْكِيرٍ ذِهْنِيٍّ فِي كُنْهِ تِلْكَ الصِّفَةِ وَالْمَأْذُونُ لَنَا إِنَّمَا فِي التَّفْكِيرِ فِي مَعْنَاهَا وَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ

"لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ نَفْسِهِ قَالَ تَعَالَى:{ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة: ١٤٠]

وَلَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ بَعْدَ اللَّهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)} [النجم : ٣-٤]"

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى منَزَّه عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقَاتِ إِذْ كَيْفَ يَتَشَابَهُ الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ. وَهَذَا كَائِنٌ بَيْنَ يْدِيكَ انْظُرْ إِلَى ثَلَّاجَتِكَ أَوْ إِلَى تِلْكَ الْعَرَبَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيكَ لَهَا عَمَلٌ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ وَلَكِنْ هَلْ ثَمَّ تَشَابُهٌ بَيْنَ تِلْكَ الْآلَةِ وَبَيْنَ صَانِعِهَا؟ فَالْعَرَبَةُ وَالثَّلَّاجَةُ وَالْمُوتُورُ هَذِهِ كُلُّهَا صُنِعَتْ بِالْحَدِيدِ وَصُنِعَتْ مِنْ مَوَادَّ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَا تَتَوَائَمُ مَعَه، هَذِهِ الْمَادَّةِ لَهَا صَانِعٌ لَهَا خَالِقٌ الَّذِي صَنَعَهَا هُوَ الْمُهَنْدِسُ.

فَهَلْ نَقِيسُ الصَّانِعَ عَلَى الْمَصْنُوعِ؟ هَلْ نَقُولُ هَذِهِ الثَّلَّاجَةُ صَانِعُهَا ثَلَّاجَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى هَيْئَتِهَا فَخَرَجَتْ مِنْهَا تِلْكَ الثَّلَّاجَةُ الصَّغِيرَةُ؟

وَحِينَمَا نَنْظُرُ إِلَى الْوَاقِعِ نَجِدُ تَبَايُنًا كَبِيرًا بَيْنَ الصَّانِعِ وَالصَّنْعَةِ، فَهَذِهِ مِنْ مَوَادَّ ثَابِتَةٍ وَهَذَا مِنْ دَمٍ وَلَحْمٍ، هَذِهِ تُصْنَعُ مُبَاشَرَةً، وَهَذَا بِنِكَاحٍ وَحَمْلٍ وَوِلَادَةٍ وَرَضَاعٍ حَتَّى يُؤْتِي أُكُلَهُ.

فَانْظُرْ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّانِعِ وَالصَّنْعَةِ فِي دُنْيَا اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَكَيْفَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ؟ وَهَذَا مِمَّا لَا يُدْرِكُهُ عَقْلٌ.

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقَاتِ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ مُشَابَهَةِ مَخْلُوقَاتِهِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَجِبُ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

"تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقَاتِ فِي صِفَاتِهِ" وَفِي ذَاتِهِ. **قَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤]** أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا كَفِيٌّ وَلَا مُعَادِلٌ.

"الْأَمْرُ الثَّالِثُ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: عَدَمُ مُحَاوَلَةِ إِدْرَاكِ كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ" لِأَنَّهُ لَا إِحَاطَةَ لِلْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ. **"قَالَ تَعَالَى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: ١١٠].قَالَ تَعَالَى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥]؟فَمِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى مَا نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ. فَيُسْتَفَادُ مِنْهَا إِثْبَاتُ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتِوَاءً حَقِيقِيًّا نَعْرِفُ مَعْنَاهُ"** وَهُوَ الْعُلُوُّ **"وَنَجْهَلُ كَيْفِيَّتَهُ"**

" فَمَعْنَاهُ علا على عرشه وارتفع. وَهَكَذَا جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَاتَّفَقَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

أَمَّا كَيْفِيَّةُ هَذَا الِاسْتِوَاءِ فَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ."

فَلَا تَقُلْ (علا) بِمَعْنَى اسْتَوْلَى وَلَا تَقُلِ اسْتَوْلَى بِمَعْنَى جَلَسَ كَجُلُوسِ أَحَدِنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ فَهَذَا تَشْبِيهُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ وَاللَّهُ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} فَلَا يُشَبَّهُ بِالْمَخْلُوقِ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

"وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨]. فَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَنَحْوِهَا إِثْبَاتُ صِفَةِ السَّمْعِ لِلَّهِ، وَالسَّمْعُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ إِدْرَاكُ الْأَصْوَاتِ. فَنُثْبِتُ لِلَّهِ تَعَالَى سَمْعًا يُدْرِكُ بِهِ الْأَصْوَاتَ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. وَنُفَوِّضُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى فَلَا نَقُولُ كَيْفَ يَسْمَعُ وَلَا نَخُوضُ فِي ذَلِكَ إِذْ لَمْ يُطْلِعْنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ بَلِ اسْتَأْثَرَ جَلَّ وَعَلَا ذَلِكَ بِعِلْمِهِ.

وَهَكَذَا الْبَصَرُ. الْبَصَرُ هُوَ إِدْرَاكُ الْمَرْئِيَّاتِ. كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ،

يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ".

"فَنُثْبِتُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بصرا حَقِيقِيّا يُدْرِكُ بِهِ جَلَّ جَلَالُهُ الْمُبْصَرَاتِ. إِلَّا أَنَّ كَيْفِيَّةَ هَذَا الْبَصَرِ لَا نَعْلَمُهُ وَإِنَّمَا نَعْلَمُ مَا عَلَّمَنَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. فَهَذِهِ أَمْثِلَةٌ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي إِثْبَاتِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَصِفَاتِهِ.

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ **"الْمُعْتَقَدُ الصَّحِيحُ فِي تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ"** قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ **"وَمِنْ جُمْلَةِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إِفْرَادُهُمُ اللَّهَ تَعَالَى بِالْعُبُودِيَّةِ. فَلَا يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، بَلْ يَصْرِفُونَ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا أَمْرَ إِيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ. يَصْرِفُونَهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ"**

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

[الأنعام : ١٦٢]

فَكَيْفَ نَعْبُدُ سِوَاهُ؟ وَهُوَ الْوَاحِدُ فِي عَطَائِهِ، وَهُوَ الْوَاحِدُ فِي فَضْلِهِ، وَهُوَ الْوَاحِدُ فِي خَلْقِهِ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي أَوْجَدَ الْخَلْقَ وَحْدَهُ، كَيْفَ تُصْرَفُ طَاعَةٌ لِغَيْرِ اللَّهِ؟ وَالْمَرْءُ لَا يَخْرُجُ عَنْ فَضْلِهِ وَقَدْرِهِ وَقَضَائِهِ فِي لَحَظَاتِهِ وَسَاعَاتِهِ، فَمَا مَعَكَ كُلُّهُ مِنَ اللَّهِ.

أَنْتَ مِنَ اللَّهِ، وَمَالُكَ مِنَ اللَّهِ، وَوَلَدُكَ مِنَ اللَّهِ، وَزَوْجُكَ مِنَ اللَّهِ، وَتَوْفِيقُكَ مِنَ اللَّهِ.

فَلِمَاذَا تَجْعَلُ شَيْئًا لِغَيْرِ مَالِكِهِ؟ لِمَاذَا تَجْعَلُ شَيْئًا لِغَيْرِ وَاهِبِهِ؟ فَالَّذِي وَهَبَكَ ذَلِكَ وَأَعْطَاكَ هُوَ اللَّهُ. فَلَا تَجْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ.

الْعِبَادَاتُ لَا تُصْرَفُ إِلَّا لِلَّهِ، فَلَا يَسْجُدُ أَهْلُ الْحَقِّ إِلَّا لِلَّهِ، **"وَلَا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَنْحَرُونَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَنْذُرُونَ إِلَّا لِلَّهِ،**

وَلَا يَحْلِفُونَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُونَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ. وَهَذَا هو تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ. قَالَ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: ٣٦]. "

وَشَيْئًا جَاءَتْ مُنَكَّرَةً، دَلَالَةً عَلَى نَفْيِ عُمُومِ الشِّرْكِ صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ عَظِيمِهِ وَحَقِيرِهِ، وَهَذَا قَضَاءٌ مَقْضِيٌّ وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ لَا انْفِكَاكَ فِيهِ.

"{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء: ٢٣]." هَذَا قَضَاؤُهُ وَمَا قَضَى بِهِ وَحَكَمَ يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الَّذِي يُرِيدُ رِضَى الرَّبِّ أَنْ يَقُومَ بِحُكْمِهِ وَقَضَائِهِ.

وَهُوَ أَمْرُهُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا} [التوبة: ٣١]. {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: ٥]."** فَكَيْفَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟

وَالْغَايَةُ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ **"قَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]."**

أَيْ إِلَّا لِيُوَحِّدُونِ، يُوَحِّدُونَ اللَّهَ فِي الْقَصْدِ وَفِي الطَّلَبِ، فِي الدُّعَاءِ وَالرَّجَاءِ، فِي الْإِخْبَاتِ وَالْإِنَابَةِ فِي اللَّجِئِ وَالتَّوْبَةِ، وَلَا يَجْعَلُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ. لِأَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ، فَجَعْلُوا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ مُصَادَمَةً لِلتَّوْحِيدِ وَشِرْكًا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْمَجِيدِ، وَهُوَ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَ بِهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَغْفِرُ كُلَّ ذَنْبٍ إِلَّا أَنْ يُشْرَكَ بِهِ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء : ٤٨]

يَغْفِرُ اللَّهُ كُلَّ ذَنْبٍ إِلَّا الشِّرْكَ لِأَنَّ الشِّرْكَ يَهْدِمُ التَّوْحِيدَ، يَحُولُ بَيْنَ الْغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَبِيدَ. {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء : ٤٨]

وَأَيُّ ذَنْبٍ أَعْظَمُ؟ وَأَيُّ فَرِيةٍ؟ وَأَيُّ ذَنْبٍ أَعْظَمُ وَأَيُّ فِرِيَةٍ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ الْمَخْلُوقُ وَيَعْبُدَ مَخْلُوقًا مِثْلَهُ، أَيُّ فِرِيَةٍ وَأَيُّ ذَنْبٍ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَرْزُقَ وَيُعْبَدَ الْمَرْزُوقُ مَرْزُوقًا مِثْلَهُ، قَالَ تَعَالَى{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء : ١١٦}

وَأَهْلُ الْحَقِّ لَا يَقْتَرِبُونَ إِلَى الشِّرْكِ وَلَا يَمِيلُونَ إِلَيْهِ، بَلْ مَيْلُهُمْ وَصَرْفُهُمْ لِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ **(يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج : ٣١]**

{حُنَفَاءَ لِلَّهِ} أَيْ مَائِلِينَ إِلَى التَّوْحِيدِ مُجَانِبِينَ لِلشِّرْكِ، وَمَنْ جَانَبَ التَّوْحِيدَ وَمَالَ إِلَى الشِّرْكِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا يُنْتَظَرُ بِهِ

أَنْ يَنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ، بَلْ تَتَخَطَّفُهُ الرِّيحُ، بَلْ تَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ، فَإِنْ لَمْ تَتَخَطَّفْهُ الطَّيْرُ فَتُمَزِّقْهُ مِزَّقًا، فَإِنَّهُ يَهْوِي إِلَى مَكَانٍ سَحِيقٍ.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

وَالْمُسْلِمُ يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْ يَأْمُرَ أَهْلَهُ بِعَدَمِ الِاقْتِرَابِ مِنْهُ فَهَذَا هُوَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ لُقْمَانُ، **يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان : ١٣]**

نِعْمَ الأبُ، هَذَا الرَّجُلُ فِي زَمَانِهِ إِذْ لَا يَخَافُ عَلَى وَلَدِهِ مِنَ الْفَقْرِ، وَلَا مِنَ الْجُوعِ وَلَا مِنَ الْمَرَضِ، وَلَكِنْ يَخَافُ عَلَى وَلَدِهِ مِنَ الشِّرْكِ فَيُحَذِّرُهُ.{يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ}، يَنْهَاهُ عَنِ الشِّرْكِ ثُمَّ يُبَيِّنُ لَهُ عَاقِبَةَ الشِّرْكِ:{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

أَعْظَمُ الظُّلْمِ أَنْ يُشْرِكَ الْعَبْدُ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ.

"وَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الشِّرْكَ مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ مُخْرِجٌ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ تَعَالَى:{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام : ٨٨] [الأنعام: ٨٨]."

الْمُشْرِكُ كَمَنْ يَبْنِي بِنَاءً وَيَهْدِمُهُ أَوْ يَحْفِرُ بِئْرًا فَيَرْدِمُهُ، فَيَحْبَطُ مَا كَانَ مِنْهُ عَمَلُ الْعَمَلِ الطَّوِيلِ ثُمَّ يُزِيلُهُ كَأَنَّهُ مَا كَانَ.{كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا} [النحل: ٩٢].

امْرَأَةٌ تَظَلُّ طَوَالَ النَّهَارِ تَغْزِلُ وَتَتْعَبُ وَتُجْهِدُ نَفْسَهَا، فَإِذَا مَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ حَلَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ. وَهَكَذَا حُبُوطُ الْعَمَلِ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَذَّرَ مِنَ الشِّرْكِ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، حَذَّرَ مِنَ الشِّرْكِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ، حَذَّرَ مِنَ الشِّرْكِ عِبَادَهُ جَمِيعًا، فَهَذَا نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَاشَاهُ أَنْ يَتَوَرَّطَ فِي الشِّرْكِ، وَحَاشَاهُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ. يُوحِي إِلَيْهِ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَمَا أَوْحَى إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ{**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن**

قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر : ٦٥].

جَلَسَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِهِ، فَأَخَذُوا يَتَنَاوَلُونَ طِيبَ الْكَلَامِ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَمِمَّا جَاءَ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَاسْتَمْلَحُوا ذَلِكَ. فَلَمَّا أَوْشَكُوا أَنْ يَقُومُوا مِنْ مَجْلِسِهِمْ قَالَ الصَّاحِبُ لِصَاحِبِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ ذَكَّرْتَنَا بِاللَّهِ وَإِنَّهُ لَمَجْلِسٌ طَيِّبٌ.فَقَالَ وَاللَّهِ إِنَّ أَخْشَى مَا أَخْشَاهُ أَنْ أَكُونَ قَدْ جَلَسْتُ فَانْتَقَيْتُ أَطْيَبَ الْكَلَامِ مِنْ أَجْلِ أَنْ أُرْضِيَكَ. وَانْتَقَيْتَ أَنْتَ أَطْيَبَ الْكَلَامِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُرْضِيَنِي. فَأَصْبَحَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ حَسْرَةً عَلَيْنَا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا وَاللَّهِ لَقَدْ أَحْيَيْتَنِي.

يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَفَقَّدَ فِي نِيَّتِهِ أَنْ يَتَفَقَّدَ فِي عَمَلِهِ، فَالْمَرْءُ يَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ وَلَا يَدْرِي أَأَخْلَصَ فِي عَمَلِهِ أَمْ أَشْرَكَ،

أَأَرَادَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ أَمْ أَرَادَ دُنْيَا حَقِيرَةً وَشُهْرَةً زَائِفَةً وَمُتْعَةً زَائِلَةً

وَأَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ، لَيْسوا بِأَصْحَابِ الْكَبَائِرِ، لَيْسوا بِأَصْحَابِ الْمُوبِقَاتِ وَإِنَّمَا أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ مَنْ جَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لِغَيْرِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، عَالِمٌ وَقَارِئٌ وَمُجَاهِدٌ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ظَاهِرِهَا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْمُتَعَالِ، وَلَكِنْ شِرْكُ السَرَائِرِ، شِرْكُ النَّوَايَا، شِرْكُ الْأَعْمَالِ، حِينَمَا تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَيُذَكَّرُ بِهَا الْفَاعِلُ فَيذْكُرهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لمَنْ عَمِلْتَ ذَلِكَ؟ مَا أَرَدْتَ بِذَلِكَ؟

فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَرَدْتُ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا مِمَّا يُرْضِيكَ.

فَيَقُولُ اللَّهُ وَمَا أَشَدَّهُ مِنْ حَالٍ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ لِعَبْدِهِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْجَوَارِحُ كَذَبْت، كَذَبَ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، خَادَعَ

نَفْسَهُ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمُخَادِعِينَ. وَلَكِنْ لَمْ يَخْدَعْ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [البقرة : ٩] وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْعُرُونَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْلَمُونَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفِيقُونَ، وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَبَعْدَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ وَالْهَوَانِ.

فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ".

التَّوْحِيدُ وَأَهْلُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَالشِّرْكُ وَأَهْلُهُ فِي النَّارِ.

وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَكِنْ تَوَرَّطَ فِي الشِّرْكِ فَلَيْسَ لَهُ جَنَّةٌ حَتَّى يُطَهَّرَ مِمَّا عَلِقَ فِيهِ مِنْ شِرْك، وَفِي ذَلِكَ يقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كَمَا **"فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ**

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ".

وَالدُّعَاءُ هُنَا بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ أَوْ بِمَعْنَى اللجئ أَوْ بِمَعْنَى الِاسْتِغَاثَةِ أَوْ بِمَعْنَى الِاسْتِعَانَةِ، فَكُلُّ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْعِبَادَةِ فَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي يُوجِبُ لِصَاحِبِهِ النَّارَ.

" فَمَنْ صَرَفَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، فَالدُّعَاءُ عِبَادَةٌ أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، فَمَنْ دَعَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَهُوَ مُوَحِّدٌ وَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ. "

وَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَبَيَّنَ عَاقِبَتَهُ **" فَقَالَ سُبْحَانَهُ:{وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ} [يونس : ١٠٦]"**

كُلُّ مَنْ يُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يمْلِكُ شَيْئًا فَلَا هُوَ بِنَافِعٍ وَلَا هُوَ بِضَارٍّ فِي وَقْتِهِ، وَلَكِنَّ اللُّجئ إِلَيْهِ وَطَلَبَ الْأُمُورِ مِنْ لَدَيْهِ يَضُرُّ لَا مَحَالَةَ، فَهُوَ لَا يَضُرُّ بِنَفْسِهِ وَلَكِنْ دُعَاؤُهُ يَضُرُّ. **قَالَ تَعَالَى:{وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون : ١١٧]**

فَسَمَّاهُمْ كَافِرِينَ لِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَالَ تَعَالَى: {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١)} [الجن : ١٩-٢١]

فَدُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ شَأْنُ الْمُشْرِكِينَ وَدُعَاءُ اللَّهِ وَحْدَهُ شَأْنُ الْمُوَحِّدِينَ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيَّنَ الْفَرْقَ بَيْنَ مَنْ يَدْعُو اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مَنْ يَدْعُو غَيْرَهُ **"فَقَالَ سُبْحَانَهُ:{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ**

يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [الرعد : ١٤]".

الدَّعْوَةُ الَّتِي تُسْتَجَابُ إِنَّمَا هِيَ الدَّعْوَةُ الَّتِي يُلْجَأُ بِهَا إِلَى الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ، أَمَّا دَعْوَةُ غَيْرِهِ فَهَذَا وَصْفُهَا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ

الَّذِي يَضَعُ يَدَهُ فِي الْمَاءِ هَكَذَا ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَاءِ بِشَيْءٍ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ بِشَيْءٍ، هَكَذَا مَنْ يَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَبَيَّنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُدْعَونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْءٌ. هُمْ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ لَا يَشْعُرُونَ بِمَنْ يَدْعُوهُمْ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِجَابَةِ دُعَائِهِ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا، **" يقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [النحل: ٢٠] "**

الْأَصْنَامُ مَخْلُوقَةٌ وَالْأَنَاسِيُّ الَّتِي ادَّعَتِ الْأُلُوهِيَّةَ مَخْلُوقَةٌ، وَالْأَشْجَارُ مَخْلُوقَةٌ، وَالْحَيَوَانَاتُ مَخْلُوقَةٌ، فَأَنَّى لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَرْزُقَ مَخْلُوقًا وَهُمْ فِي الْمُنْتَهَى مَرْزُوقُونَ. وَأَنَّى لِمَيِّتٍ أَنْ يُحْيِيَ مَيِّتًا وَأَنَّى لِفانٍ أَنْ يَنْفَعَ فانِيًا {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ } هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَحْجَارِ هُمْ أَمْوَاتٌ لَا يُدْرِكُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَشْعُرُونَ بَلْ لَا يَعْلَمُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ.وَفِي ذَلِكَ يقُولُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مُبَيِّنًا شُؤْمَ دُعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ:"**{فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} [الشعراء: ٢١٣]**."

وَبَيَّنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ضَعْفَ وَخَوَرَ تِلْكَ الْآلِهَةِ الَّتِي تُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَبَيَّنَ كَيْفَ أَنَّ الْفَرْقَ عَظِيمٌ مَنْ يُدْعَى فَيَسْتَجِيبُ وَبَيْنَ مَنْ يُدْعَى فَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَسْتَجِيبُ "**فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن**

دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)} [فاطر : ١٣-١٤]"

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هوَالَّذِي يُدْخِلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَيُدْخِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَهُوَ الَّذِي يُسَخِّرُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ،{كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ}أَيْ هَذَا الَّذِي ذُكِرَ لَكُمْ مِنْ شَأْنِ رَبِّكُمُ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ، وَأَمَّا مَنْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَوْ قِطْمِيرٌ وَهُوَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، وَدُعَاؤُكُمْ كَعَدَمِهِ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ بَلْ لَوْ سَمِعُوا مَا عَلَى مَا تَلْجَؤُونَ وَتلْتجِئُونَ إِلَيْهِ بِهِمْ يَسْتَجِيبُونَ {إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ } يتبرأون منكم ويكفرون بعبادتكم فقبل أن تعاينوا ذلك فهذا نبأ الخبير العليم {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)}

وقال تعالى :"{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر : ٣٨]

هَذِهِ الْمَعْبُودَاتُ لَا تَرْفَعُ ضُرًّا وَلَا تَجْلِبُ نَفْعًا، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي يَنْفَعُ وَهُوَ الَّذِي يَضُرُّ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَهُوَ الَّذِي يُمِيتُ وَهُوَ الْحَسْبُ وَهُوَ الْوَكِيلُ، فَاللُّجُوءُ إِلَيْهِ سَبَبُ الْكِفَايَةِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ سَبَبُ الرِّزْقِ وَالنَّصْرِ وَالْهِدَايَةِ.

"قَالَ تَعَالَى:{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن

دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)} [الأحقاف : ٤-٦]

ثْبَتَ فِي السُّنَنِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ".

فدعَاءُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالْعِبَادَةُ الْجَامِعَةُ لِأَنَّ الدَّاعِيَ يُفْرِدُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالدُّعَاءِ وَيُوقِنُ أَنَّ الْخَلْقَ وَالْمُلْكَ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ وَحْدَهُ، فَهُوَ يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ الَّذِي هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ أَنْ يُغَيِّرَ مِنْ شَأْنِهِ وَأَنْ يُصْلِحَ مِنْ حَالِهِ وَأَنْ يُعْطِيَهُ طَلَبَهُ وَأَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ ضُرَّهُ وَأَنْ يَجْلِبَ لَهُ نَفْعَهُ،فَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ".

لِمَاذَا دَارَتِ الْخُصُومَةُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَبَيْنَ أَقْوَامِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ وَهُوَ بَابُ التَّوْحِيدِ؟

وَقَعَتِ الْخُصُومَةُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأَقْوَامِهِمْ لِأَنَّ الْأُمَمَ كَانُوا يُرِيدُونَ آلِهَةً شَتَّى حَتَّى لَا يُدْعَوْنَ إِلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا كُلٌّ فِي غَيِّهِ، كُلٌّ حَسْبَ رَأْيِهِ وَهَوَاهُ. فَأَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الرُّسُلَ يَدْعُونَ الْخَلْقَ لِعِبَادَةِ الْحَقِّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

فَأَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْرَائِيلَ (يَعْقُوبَ)وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ كَمُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ أَرْسَلَهُمْ لِبَيَانِ هَذَا الْأَمْرِ الْجَلَلِ **"وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ فِي تَقْرِيرِهِ وَتَوْضِيحِهِ وَالِاحْتِجَاجِ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]."**

فَهَذِهِ الْغَايَةُ مِنْ بِعْثَةِ الرُّسُلِ تَحْقِيقُ الْعِبَادَةِ وَالْبُعْد وَاجْتِنَاب الشِّرْكِ.

"وَقَالَ تَعَالَى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى:{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} [النحل: ٢].

وَافْتَتَحَ بِهِ الرُّسُلُ دَعْوَةَ قَوْمِهِمْ إِلَى اللَّهِ فَكُلُّ رَسُولٍ يَقُولُ لِقَوْمِهِ:{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٥٩].قَالَهَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُلُّ رَسُولٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ" ابْتَدَأُوا دَعْوَتَهُمْ بِالدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ تَعَالَى:{{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ

رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)} [العنكبوت : ١٦-١٧]

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)} [يوسف : ٣٩-٤٠]

لَيْسَ لِأَهْلِ الشِّرْكِ حُجَّةٌ فِي شِرْكِهِمْ وَلَا مُسْتَنَدٌ فِي مُعْتَقَدِهِمْ لَا مِنْ عَقْلٍ صَحِيحٍ وَلَا مِنْ نَقْلٍ عَنِ الْمُرْسَلِينَ" وَلَا مِنْ نَقْلٍ عَنِ الْمُرْسَلِينَ صَرِيحٍ.

"قَالَ تَعَالَى:{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف : ٤٥]

وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ إِلَهٍ مَعَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِ يَدْعُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.وَنَبَّهَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ"

مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي يَعِي مَا يَجْرِي حَوْلَهُ مِنْ أُمُورٍ دَعَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُشْرِكِينَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شريك له، **"وَنَبَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ يُبْطِلُ شِرْكَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ تَعَالَى:{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [الأحقاف : ٤].**

فَهَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ سِوَى اللَّهِ فَعِبَادَتُهُ بَاطِلَةٌ إِذْ لَمْ يَخْلُقُوا شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعَاوَنَةٌ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ فَإِنَّمَا اللَّهُ وَحْدَهُ الْمُتَفَرِّدُ بِذَلِكَ فَلِمَا عِبَادَتُهُمْ إِذَنْ؟"

لِمَاا يُعْبَدُونَ؟ وَهُمْ لِلْأَرْضِ لَمْ يَخْلُقُوا، لِمَا يُعْبَدُونَ؟ وَهُمْ لِلْخَلْقِ لَمْ يَرْزُقُوا، لِمَا يُعْبَدُونَ؟ وَهُمْ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ.

"ثُمَّ نَفَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيَكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ دَلِيلٌ مِنَ النَّقْلِ عَنِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ أَوِ الرُّسُلِ الْمُرْسَلَةِ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ فَبَانَ أَنْ لَا حُجَّةَ لِلْمُشْرِكِينَ مُطْلَقًا فَكَانُوا بِذَلِكَ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ."

مِمَّا تَقَدَّمَ يُعْلَمُ أَنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ وَأَوَّلَ الْوَاجِبَاتِ وَأَهَمَّ الْمُهِمَّاتِ وَهُوَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ. يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَلَاقَتِهِ بِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَنْظُرَ فِي يَقِينِهِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَنْظُرَ فِي تَصَرُّفَاتِهِ فِي حَرَكَةِ حَيَاتِهِ، أَنْ يَنْظُرَ فِي مَحَبَّتِهِ لِأَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تُحِبَّ رَبَّكَ وَأَنْ تُحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ، وَأَنْ تُحِبَّ كُلَّ عَمَلٍ يُحِبُّهُ وَأَنْ تُحِبَّ مَنْ يُقَرِّبُكَ إِلَى حُبِّهِ هَذَا هُوَ قَانُونُ الْمَحَبَّةِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ.

لمَاذَا يَتَنَازَعُ النَّاسُ؟ لِأَنَّ الْإِيمَانَ فِيهِ خَلل، وَلَوْ صَدَقَ النَّاسُ فِي إِيمَانِهِمْ لَصَدَقُوا فِي عَلَاقَاتِهِمْ، لَصَدَقُوا فِي عَلَاقَاتِهِمْ مَعَ زَوْجَاتِهِمْ، لَصَدَقُوا فِي عَلَاقَاتِهِمْ مع إِخْوَانِهِمْ، لَصَدَقُوا فِي عَلَاقَاتِهِمْ مع آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، لَصَدَقُوا فِي عَلَاقَاتِهِمْ مع شُيُوخِهِمْ وَدُعَاتِهِمْ، لَصَدَقُوا فِي عَلَاقَاتِهِمْ مع حُكَّامِهِمْ وَوُلَاةِ أُمُورِهِمْ.

لِمَاذَا يَتَنَازَعُ الْخَلْقُ؟ إِذَا الْإِيمَانُ ضَاعَ فَلَا أَمَانَةَ وَلَا دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحِذْ دِينَهُ وَمَنْ رَضِيَ الْحَيَاةَ بِغَيْرِ دِينٍ فَقَدْ جَعَلَ الْفَنَاءَ لَهَا قَرِينًا.

الْإِيمَانُ يَخْلَقُ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، الْإِيمَانُ يَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدٍ، الْإِيمَانُ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ، الْإِيمَانُ يَحْتَاجُ إِلَى تَعَاهُدٍ، وَالنَّاسُ يُجَدِّدُونَ كُلَّ مَا حَوْلَهُمْ، النَّاسُ يَنْظُرُونَ فِيمَا حَوْلَهُمْ وَلَكِنْ قَلَّ مَنْ يَنْظُرُ فِي إِيمَانِهِ، قَلَّ مَنْ يَنْظُرُ فِي يَقِينِهِ، قَلَّ مَنْ يَنْظُرُ فِي

إِخْلَاصِهِ، وَيَرْضَى تِلْكَ اللَّيَالِيَ الْخَوَالِيَ الَّتِي كَانَ فِيهَا مِنْ قَدِيمٍ مُؤْمِنًا، وَكَانَ فِيهَا مِنْ قَدِيمٍ خَاشِعًا وَكَانَ فِيهَا مِنْ قَدِيمٍ مُخْلِصًا، ويبْنِي عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ تبْلى وَأَنَّ الصُّوَرَ تُمْحَى وَأَنَّ الْمَبَانِيَ تُهْدَمُ، فَكَمْ مِنْ صُورَةٍ قَدْ زَالَ أَثَرُهَا وَكَمْ مِنْ مَبْنًى قَدْ انعَدِمَ وُجُوده، وَكَمْ مِنْ رُكْنٍ انْهَدَمَ وَهُوَ لَا يَدْرِي وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَاهَدُ ذَلِكَ الْإِيمَانَ، لا ينْظُرُ فِي حَقِيقَتِهِ، لا ينْظُرُ فِي أَثَرِهِ لا ينْظُرُ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ.

وَالْإِيمَانُ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ، يَدْعُو إِلَى الْخُلُقِ الْحَسَنِ، يَدْعُو إِلَى الْقَوْلِ الْحَسَنِ وَالْخُلُقِ الْجَمِيلِ، الْإِيمَانُ دَاعِيَّةُ كُلِّ خَيْرٍ، صَارِفًا عَنْ كُلِّ شَرٍّ.

الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ قَرِينَانِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ الْإِيمَانَ إِلَّا وَذَكَرَ بَعْدَهُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا} [مريم : ٩٦]

الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ قَرِينَانِ، فَإِذَا مَا قَلَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فَلْتَعْلَمْ عَبْدَ اللَّهِ بِضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَقِلَّته، انْمِحَاءِ صُورَتِهِ وَحَقِيقَتِهِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَتَوَانَى عَنِ النَّظَرِ فِي إِيمَانِهِ حَتَّى يَزُولَ الْإِيمَانُ وَيَبْقَى كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالثَّوْبِ الَّذِي دُرِسَتْ مَعَالِمُهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا صُورَةٌ بَاهِتَةٌ وَشَكْلٌ لَا يَتَّضِحُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهَكَذَا الَّذِي تَرَاهُ فِي دُنْيَا اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ دَعوَى الْإِيمَانِ، فَأَيْنَ أَثَرُهُ؟ وأَيْنَ لَذَّتُهُ؟ وأَيْنَ حَلَاوَتُهُ؟ وأَيْنَ مَذَاقُهُ؟

الْإِيمَانُ لَهُ لَذَّةٌ، أَيْنَ تَلَذُّذُكَ بِإِيمَانِكَ؟ الْإِيمَانُ لَهُ حَلَاوَةٌ، أَيْنَ سَعَادَتُكَ بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ؟ الْإِيمَانُ لَهُ مَذَاقٌ، مَا طَعْمُ الْإِيمَانُ فِي أَعْمَالِكَ وَأَحْوَالِكَ وَأَقْوَالِكَ؟ الْإِيمَانُ يَدْفَعُ الْمَرْءَ أَنْ يَكُونَ حَيْثُمَا وَقَعَ نَفْعٌ، الْإِيمَانُ يَدْفَعُ الْمَرْءَ أَلَّا يَتَكَلَّمَ إِلَّا بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ وَلَا يَفْعَلَ إِلَّا الْفِعْلَ الْجَمِيلَ.

الصَحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَمَّا عَلَتْ إِيمَانِيَّاتُهُمْ عَلَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَعَظُمَتْ أَفْعَالُهُمْ، وَارْتَفَعَتْ هِمَمُهُمْ حَتَّى ضَحُّوا بِالْغَالِي وَالنَّفِيسِ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَاتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ وَرَفْعِ رَايَةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا الْآنَ فَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ عَنِ الْخَوَرِ، أَمَّا الْآنَ فَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ عَنِ التَّخَلِّي عَنْ ثَوَابِتَ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ، حَدِّثْ وَلَا حَرَجَ عَنْ ضَيَاع حَقِيقَةِ الدِّينِ عَنْ ضَيَاع السَّاعِينَ إِلَى إِقَامَةِ أُمَّةِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ، النَاسُ يُقِيمُونَ أَبْنَائَهُمْ وَيُقِيمُونَ مُسْتَقْبَلَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ وَيُقِيمُونَ شَهَادَاتِهِمْ، وَقَلَّ مَنْ يَسْعَى أَنْ يُقِيمَ دِينَ اللَّهِ الْعَظِيمِ. وقَلَّ مَنْ يَسْعَى إِلَى أَنْ يَرُدَّ الشَّارِدِينَ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، قَلَّ مَنْ يَسْعَى لِأَنْ تُصْبِحَ الْأُمَّةُ رَائِدَةً قَائِدَةً، قَلَّ مَنْ يَسْعَى أَنْ يَقِفَ أَمَامَ ذَلِكَ الْمَدِّ الْغَرْبِيِّ الَّذِي دَمَّرَ شَبَابَ الْمُسْلِمِينَ وَدَمَّرَ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَدَمَّرَ دِيَارَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى يَدْخُلَ

مِنْ أَجْلِ أَنْ يَهْتِكَ الْعِرْضَ وَأَنْ يَسْلُبَ الْأَرْضَ وَأَنْ يَأْخُذَ الْمَالَ وَأَنْ يُذِلَّ أَعزَّة كَانُوا لَمْ يُحَافِظُوا عَلَى هَذَا الدِّينِ.

فَاللَّهُمَّ جَدِّدْ فِي قُلُوبِنَا إِيمَانَنَا وَأَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَاجْعَلْ آخِرَ كَلَامِنَا مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

.....

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ أَمَّا بَعْدُ:

فَفِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ بَيَانٌ لِأَرْكَانٍ وَقَوَاعِدَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِتَمَامِ تِلْكَ الْأَرْكَانِ وَإِقَامَةِ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ، فَأَمَّا رُكْنُه الْأَوَّلُ فَهُوَ الْإِسْلَامُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالْأَعْمَالِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى الْعَزِيزِ المجيد.

وَأَمَّا الرُّكْنُ الثَّانِي فَهُوَ الْإِيمَانُ، الْإِيمَانُ الَّذِي يَكُونُ فِي بَاطِنِ الْمَرْءِ حَيْثُ يَتَحَوَّلُ إِلَى أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ، إِنَّهُ الْإِيمَانُ الَّذِي يَقُومُ عَلَى الْأَرْكَانِ السِّتِّ:

الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، والْإِيمَانُ بِمَلَائِكَتِهِ، والْإِيمَانُ بِكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، والْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، والْقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه هَذَا الْإِيمَانُ هُوَ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْإِسْلَامَ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ إِذَا لَمْ يَزْدَدْ بِهِ الْإِيمَانُ فَهَذَا

إِسْلَامٌ لَيْسَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَفِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَتَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ.

فَالْإِيمَانُ يَتِمُّ تَمَامُهُ وَيَكْمُلُ كَمَالُهُ بِتَطْبِيقِ شَعَائِرِ هَذَا الدِّينِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ حَصِيلَةُ الْأَرْكَانِ السِّتِّ، فَعَلَى قَدْرِ قِيَامِ الْمَرْءِ بِأَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتِّ تَأْتِي أَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ وَمَقَامَاتُهُ.

وَأَمَّا الرُّكْنُ الثَّالِثُ مِنْ أَرْكَانِ هَذَا الدِّينِ فَهُوَ الْإِحْسَانُ، وَمَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

إِحْسَانٌ إِلَى اللَّهِ وَمَعَ اللَّهِ بِالْمُرَاقَبَةِ، وَإِحْسَانٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُتَابَعَةِ، وَإِحْسَانٌ مَعَ الْخَلْقِ بِالْخُلُقِ الْفَاضِلِ وَالسُّلُوكِ الْمُسْتَقِيمِ.

ثُمَّ يَأْتِي الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ هَذَا الدِّينِ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِيَّاتِ مَعَ التَّسْلِيمِ فِي أَهْلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ فِي أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتِّ، **"وَمِنْ جُمْلَةِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:**

الْإِيمَانُ بِاللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ والْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ"

فَمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ **"الْإِيمَانُ بِاللَّهِ يَتَضَمَّنُ الْإِقْرَارَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ"** فِيمَا مَرَّ.

وَأَمَّا الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ فَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ خَلْقٌ غَيْبِيٌّ عَلَى أَشْكَالٍ وَصِفَاتٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُمْ بَعْضُهُ عَلَى يَدِ مَلَائِكَةٍ أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِبَعْضِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ. كَمَلَكِ الْمَوْتِ وَكَجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

"وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ يَكُونُ بِالتَّصْدِيقِ بِوُجُودِهِمْ، وَمَا ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَسْمَائِهِمْ، وَمَا ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِهِمْ،" فَهَذَا رُكْنٌ رَكِينٌ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

"قَالَ تَعَالَى:{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥]."

فَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ تَبِعَهُ فِي هَذَا الْإِيمَانِ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِمْ الرِضْوَانُ، وَلَا تَصِحُّ طَاعَةٌ وَلَا تُقْبَلُ قُرْبَةٌ إِلَّا بِتَحْرِيرِ الْإِيمَانِ بِمَلَائِكَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفِي ذَلِكَ يقَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: ١٧٧].**

لَيْسَتِ الطَّاعَةُ بِتَوَجُّهِ الْأَبْدَانِ عَلَى مَا شَرَعَهُ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَلَكِنَّ الطَّاعَةَ فِي تَحْقِيقِ الْإِيمَانِ بِأَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

ثُمَّ تَأْتِي الطَّاعَةُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَامَةً ظَاهِرَةً عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةِ **"فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ إِنَّ حَدِيثَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سُؤَالِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ. فَقَالَ: "الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ".**

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ عَنْهُمْ فِي شَأْنِهِمْ وَفِي طَاعَاتِهِمْ وَفِي خُضُوعِهِمْ وَإِذْعَانِهِمْ لِرَبِّهِمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ: {وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)} [الأنبياء : ١٩-٢٠]."

فَهَذِهِ طَبِيعَةُ الْمَلَائِكَةِ وَهَذَا شَأْنُ الْمَلَائِكَةِ مَعَ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. عِنْدَهُمْ خُضُوعٌ وَإِذْعَانٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ كِبْرٌ وَاسْتِكْبَارٌ بَلْ لَيْسَ

عِنْدَهُمْ فُتُورٌ، لَا يَعْرِفُونَ الْفُتُورَ وَإِنَّمَا يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ،

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِهِمْ مَعَ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَمْرِهِ **{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧)} [الأنبياء : ٢٦-٢٧]**

لَا يَتَقَدَّمُونَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا بِقَوْلٍ وَلَا بِفِعْلٍ وَلَا بِأَمْرٍ وَلَا بِنَهْيٍ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَصْفِ مَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **"يَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْهُمْ: {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩} [الأعراف : ٢٠٦]"**

"فَهُمْ عَبِيدٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَخَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْعظَيمة لَا يَسْتَحِقُّونَ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَةِ،" كَيْفَ يُعْبَدُونَ وَهُمْ مَرْبُوبُونَ؟ كَيْفَ يُعْبَدُونَ

وَهُمْ مَخْلُوقُونَ؟ وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ رَبُّهُمْ وَخَالِقُهُمْ خَلَقُونِ، **"قَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١)} [سبإ : ٤٠-٤١]"**

لَا يَرْضَوْنَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِأَنْ يَكُونَ مَعْبُودًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَوَلَايَتُهُمْ وَدَعْوَتُهُمْ وَرَغْبَتُهُمْ فِي تَحْقِيقِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَيْفَ أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا **"فَقَالَ سُبْحَانَهُ:{وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران : ٨٠]"**

فَمَنْ عَبَدَ مَلَكًا مُقَرَّبًا أَو نَبِيًّا مُرْسَلًا أَو حَجَرًا مَخْلُوقًا فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى لَوْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

"فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي بَيَانِ صِفَةِ مَلَائِكَةِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا قَدْ وُصِفَ لَكُمْ".

فَهَذِهِ مَادَّةُ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ أَجْسَامٌ نُورَانِيَّةٌ خَلَقَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نُورًا وَجَعَلَهَا مُكَلَّفَةً بِالْعِبَادِ وَجَعَلَهَا مَرْبُوبَةً مُذَلَّلَةً قَائِمَةً عَلَى عِبَادَةٍ فَهَذِهِ صِفَتُهُمْ.

"وَمِنْ صِفَةِ خَلْقِهِمْ أَنَّ لَهُمْ أَجْنِحَةً فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ ثَلَاثَةٌ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَرْبَعَةٌ وَهَكَذَا"

فَانْظُرْ إِلَى إِطْلَاقِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْخَلْقِ. فَالْمَعْلُومُ عِنْدَنَا فِي مَنْ يَطِيرُ أَنَّ لَهُ جَنَاحًا جَنَاحًا وَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ جَنَاحَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ ثَلَاثَةٌ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَرْبَعَةٌ وَأَعْظَمُهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ.

"قَالَ تَعَالَى: {{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر : ١]"

وَقَدْ جَاءَ وَصْفُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ الْهُمَامُ **"فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ"**

قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ بِجَنَاحِهِ وَهَذَا مِنْ عِظَمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَجِبْرِيلُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَانْظُرْ إِلَيْه كَيْفَ أَنَّهُ سَدَّ الْأُفُقَ فَلَمْ يَظْهَرْ مِنَ السَّمَاءِ شَيْءٌ وَلَمْ يَظْهَرْ مِمَّا دُونَهَا شَيْءٌ وَهَذَا مَخْلُوقٌ وَاحِدٌ فِي خَلْقِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمَلَائِكَةَ نُورًا تَجْعَلُهَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِمَا تُؤْمَرُ بِهِ وَلِمَا تُكَلَّفُ بِهِ، **"فَقَدْ أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى التَّشَكُّلِ بِالْأَجْسَامِ الْحَسَنَةِ كَمَا تَمَثَّلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَرْيَمَ**

بَشَرًا سَوِيًّا. وَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَرْيَمَ بَشَرًا سَوِيًّا، وَكَمَا تَمَثَّلَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَمَا حَلُّوا عَلَيْهِ ضُيُوفًا مُكْرَمِينَ، وَكَمَا تَمَثَّلَ لِلُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا جَاءُوا لِإِنْزَالِ الْعَذَابِ بِقَوْمِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ."

فَالمَلَائِكَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى التَّشَكُّلِ، وَمِنْهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ تِلْكَ الْفِرْيَةَ الَّتِي افْتَرَاهَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالُوا الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، **"فَرَدَّ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ هَذَا الزَّعْمَ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا فَقَالَ تَعَالَى:{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**

(٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)} [الأنبياء : ٢٦-٢٨]

وَقَالَ تَعَالَى{فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧)} [الصافات : ١٤٩-١٥٧]

وَقَدْ أَخَذَ عُلَمَاؤُنَا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا هُوَ عَلَى شَاكِلَتِهَا حُرْمَةُ التَّسَمِّي بِاسْمِ مُلَيْكَة لِأَنَّ هَذَا تَصْغِيرٌ لِاسْمِ الْمَلَكِ، فَحِينَمَا تُسَمَّى الْبِنْتُ بِاسْمِ الْمَلَكِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ فَهَذَا وَصْفٌ لِلْمَلَائِكَةِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا إِنَاثًا أَوْ كَانَ مِنْهُمْ إِنَاثًا وَذُكُورًا، وَالْمَلَائِكَةُ لَا تُوصَفُ بِالْأُنُوثَةِ كَمَا لَا تُوصَفُ بِالذُّكُورة لِأَنَّهُ خَلْقٌ لَا يُشَابِهُ خَلْقَ

الْأناسي، وَلَا خَلْقَ الْجَمَادَاتِ وَلَا خَلْقَ الْكَائِنَاتِ اللَّطِيفِة، بَلْ هُمْ خَلْقٌ اخْتَصَّهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَخَلَقَهُمْ مِنْ نُورٍ عَلَى هَيْئَةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ.

الْمَلَائِكَةُ تَعْرِفُ أَقْدَارَهُمْ كُلٌّ يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَكُلٌّ يَعْرِفُ فَضْلَ غَيْرِهِ وَهَاهُمْ يُقِرُّونَ بِذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: **"{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)} [الصافات : ١٦٤-١٦٦]."**

مَا أَجْمَلَ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ قَدْرَهُ وَمَا أَحْسَنَهُ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ لِغَيْرِهِ فَضْلَهُ فَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ وَيَقِفُ كُلُّ إِنْسَانٍ فِي مَوْضِعِهِ وَيَلْزَمُ كُلُّ إِنْسَانٍ حَدَّهُ فَيُعْطَى لِلْحَاكِمِ حكْومَتُهُ وَلِلْعَالِمِ عِلْمُهُ وَدَعْوَتهُ وَلِلْوَالِدِ بِرّهُ وَطَاعَتهُ وَلِلصَّاحِبِ خُصُوصِيَّاتُهُ وَصُحْبَته، فَكُلٌّ يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَ غَيْرِهِ فَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ وَهَذَا يُؤْخَذُ مِنْ حَالِ الْمَلَائِكَةِ فِي أَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ يَعْرِفُ قَدْرَ نَفْسِهِ وَقَدْرَ غَيْرِهِ.

وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ ممَنْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **"جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُوَكَّلُ بِالْوَحْيِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ } [البقرة: ٩٧].**

فَالَّذِي نَزَّلَ بِالْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

"وَقَدْ رَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأبْطَحِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ قَدْ سدَّ عِظَمُ خَلْقِهِ الْأُفُقَ"

فَلَمْ يَرَ مِنْهُ سَمَاءً وَلَا شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا لَيْلًا وَلَا نَهَارًا.

"ثُمَّ رَآهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ أَيْضًا فِي السَّمَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥)} [النجم : ١٣-١٥] "

وَلَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْأَوْقَاتِ فَفِي صُورَةِ رَجُلٍ وَغَالِبًا يَكُونُ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ.

قَالَ اللَّهُ فِي شَأْنِهِ، وَقَالَ اللَّهُ فِي أَدَبِهِ وَفَضْلِهِ قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ جِبْرِيلَ وَأَدَبِهِ وَفَضْلِهِ: **"{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣)} [التكوير : ١٩-٢٣]**

فَوَصَفَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلَ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ ذُو قُوَّةٍ وَأَنَّ لَهُ مَكَانَةً عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنَّهُ مُطَاعٌ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَنَّهُ أَمِينٌ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ الْمُدَّعُونَ الْكَافِرُونَ أَنَّهُ مَجْنُونٌ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ.

وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ أَيْضًا مِيكَائِيلُ وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِالْقَطْرِ وَتَصارِيفِهِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجِبْرِيلَ:"مَا لِي لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟" فَقَالَ:"مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ".

فَهَذَا مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ آتَاهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْقُرْبِ إِلَى اللهِ وَاخْتِصَاصِهِ بِأَمْرِ الْخَلْقِ وَالْإِحْيَاءِ فِي دُنْيَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَمْ يُكَلَّفْ وَلَمْ يَخَفْ مِنْ عَذَابٍ أَوْ حِسَابٍ أَوْ عِقَابٍ وَلَكِنْ هَا هُوَ مُنْذُ أَنْ نَظَرَ إِلَى النَّارِ لَمْ يُرَ ضَاحِكًا. فَكَيْفَ بِمَنْ سَيُحَاسَبُ؟ فَكَيْفَ بِمَنْ سَيُكَاتَبُ؟ فَكَيْفَ بِمَنْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ سَيُسْأَلُ وَعَنْ أَعْمَالِهِ سَيُحَاسَبُ وَعَلَى النَّارِ سَيمِرُّ فَإِمَّا سَالِمٌ وَإِمَّا مُكَرْدَسٌ مُقَدوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَوْتِ الْقُلُوبِ، فهَذَا مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَأَثَّرَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى النَّارِ فَلَم يُرَ ضَاحِكًا

قَطُّ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُكَلَّفْ كَمَا كُلِّفَ الْبَشَرُ وَلَمْ يُؤْمَرْ كَمَا أُمِرَ الْبَشَرُ، وَلَمْ يُرغب بِجَنَّةٍ وَلَمْ يُخوف بِنَارٍ، فَإِنَّا وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وموالاة الملائكة موالاة لله وَمُعَادَاةُ الْمَلَائِكَةِ مُعَادَاةٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَفِي ذَلِكَ يقُولُ:**"{مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٩٨]."**

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُكَ أَنَّا نُحِبُّ جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ وَإِسْرَافِيلَ وَالْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ نُحِبُّهُمْ وَنُحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُمْ وَنُبْغِضُ مَنْ عَادَاهُمْ وَكَرِهَهُمْ، فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تُصَدِّقَنَا فِي مَحَبَّتنا لِمَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ.

"وَمِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ إِسْرَافِيلُ وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِالصُّورِ" أَيْ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ وَالصُّورُ خَلْقٌ عَظِيمٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

" يَنْفُخُ فِيه ثَلَاثِ نَفَخَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: نَفْخَةُ الْفَزَعِ، نَفْخَةُ الصَّعْقِ، نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِين"

يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ وَهُوَ بُوقٌ عَظِيمٌ لَا يَعْلَمُ صِفَتَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، يَنْفُخُ فِيهِ نَفْخَةَ الْفَزَعِ حَيْثُ يَفْزَعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ نَفْخَةَ الصَّعْقِ فَصُعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ نَفْخَةَ الْقِيَامِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ عُلَمَاؤُنَا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ هَلْ هُنَّ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ أَمْ هُمَا نَفْخَتَانِ، فَالَّذِي قَالَ ثَلَاثَةً جَعَلَ الْفَزَعَ لِلْفَزَعِ نَفْخَةً وَجَعَلَ الصَّعْقَ لِلصَّعْقِ نَفْخَةً وَجَعَلَ الْقِيَامَ لِلْقِيَامِ نَفْخَةً.

فَأَمَّا الَّذِي جَعَلَهُمَا نَفْخَتَيْنِ فَجَعَلَ الْفَزَعَ قَرِينَ الصَّعْقِ فَإِنَّ نَفْخَةَ الصَّعْقِ يَقُومُ قَبْلَهَا الْفَزَعُ فَهُمَا نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وإِنْ جَاءَ فِيهِمَا ما يَدُلُّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ

"هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ الثَّلَاث مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ هم الذين ذكرهم النَّبِيُّ فِي دُعَائِهِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ

إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ:"اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ".

يَا رَبُّ يَا مَنْ أَنْتَ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ، أَنْتَ رَبُّ جِبْرَائِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالرُّوحِ وَرَبُّ مِيكَائِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالْقَطْرِ وَرَبُّ إِسْرَافِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالصَّعْقِ وَالنَّفْخِ وَالْقِيَامِ، (فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مَنْ خَلَقْتَهُمَا بِغَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ

(عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) فَالْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَكَ سَوَاءٌ

(أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فَتَعْرِفُ الْحَقَّ وَالَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهِ وَتَعْلَمُ الْبَاطِلَ وَمَنْ كَانُوا عَلَيْهِ، فَاللَّهُمَّ اصْرِفْنِي عَمَّا صُرِفَ عَنْهُمْ من صُرِفَ مِنَ الْحَقِّ إِلَيَّه

(اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ.) لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْحَقِّ فَلَمْ يُصِيبُوا، بَلِ اجْعَلْنِي مِمَّنْ أَرَادُوا الْحَقَّ فَأَصَابُوهُ بِإِذْنِكَ أنت إِذْ لَا تَوْفِيقَ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ وَلا تسديد إِلَّا بِتَسْدِيدِكَ وَلَا هِدَايَةَ إِلَّا بِهِدَايَتِكَ (إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.)

رَوَى الْحَدِيثَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ".

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِمَا سَأَلَ بِكَ نَبِيُّكَ وَنَجِيُّكَ وَصَفِيُّكَ وَخَلِيلُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ

"وَمن مَلَائِكَةُ اللَّهِ مَلَكُ الْمَوْتِ وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِهِ:{۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة : ١١]"

مَلَكُ الْمَوْتِ مُوَكَّلٌ بِالْأَرْوَاحِ يَنْظُرُ فِيهَا لَيْلَ نَهَار، وَنَحْنُ مِمَّنْ يُنْظَرُ فِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، يَتَفَقَّدُ مَلَكُ الْمَوْتِ وُجُوهَنَا فَيخْتُصَّ مَنْ قِبَلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ فَيقْبِضُ رُوحَهُ بَيْنَ عَشِيَّةٍ أَوْ ضُحَاهَا، بَيْنَ صَلَاتَيْنِ، بَيْنَ حَرَكَتَيْنِ، بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ، بَيْنَ نَفَسَيْنِ، تَخْرُجُ الرُّوحُ إِلَى بَارِئِهَا وَتَمُرُّ الْحَيَاةُ كَأَنَّهُ مَا كَانَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ حَيَاةٌ. فَاللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ.

"وَمِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِحِفْظِ بَنِي آدَمَ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ مِنْ حِلٍّ وَسَفَرٍ وَنَوْمٍ وَيَقَظَةٍ" وَحَرَكَةٍ وَسُكُونٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١)} [الرعد : ١٠-١١]

اتَّقِ اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ، مَلَائِكَةٌ لَا تُفَارِقُكَ مَلَائِكَةٌ تَطَّلِعُ عَلَى سِرِّكَ وَجَهْرِكَ، تَطَّلِعُ عَلَى لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، تَطَّلِعُ عَلَى فِعْلِكَ فِي سَرَّائِكَ وَضَرَّائِكَ، تَطَّلِعُ عَلَى فِعْلِكَ فِي بَيْتِكَ وَفِي شَارِعِكَ، هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ تَطَّلِعُ عَلَيْكَ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْكَ، تَسْطُرُ عَلَيْكَ حَقِيقَتَكَ، تُسطرُ عَلَيْكَ انْفِعَالَاتِكَ، تُسطرُ عَلَيْكَ رَغَبَاتِكَ وَشَهَوَاتِكَ، فَاللَّهُمَّ اسْتُرْنا بسترك الجميل.

" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ} أَيْ مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ. فَإِذَا جَاءَ قَدَرُهُ خَلُّوا عَنْهُ."

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى الطُّمَأْنِينَةِ وَعَدَمِ الْخَوْفِ وَعَدَمِ التَّرَدُّدِ وَالْفَزَعِ، فلست فِي الْحَيَاةِ وَحْدَكَ، أَنْتَ مُحَاطٌ بِمَلَائِكَةِ اللَّهِ مَلَكٌ عَنْ يَمِينِكَ، وَمَلَكٌ عَنْ يَسَارِكَ، وَمَلَكٌ مِنْ أَمَامِكَ وَمَلَكٌ مِنْ خَلْفِكَ، مَا يَفْعَلُ عَدُوُّكَ بِكَ، مَا يَفْعَلُ حُسَّادُكَ بِكَ لَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ إِلَّا إِذَا كُنْتَ سَبَبًا فِي صَرْفِ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَنْكَ، وَلَا تُصْرَفُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْمَعْصِيَةِ، فَهُمْ حَوْلَكَ مَا دُمْتَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِذَا مَا وَقَعَ الْأَبْعَدُ فِي مَعْصِيَتِهِ خَلُّوا عَنْهُ أَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ أَمْرًا خَلَّوا عَنْهُ فَوَقَعَ قَدَرُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَاطُ مِنْ قِبَلِ أَصْحَابِهِ خَوْفًا عَلَيْهِ فَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ:

"مِنْ أي أَيِّامِ أفِرّ وأنا بين يَوْمَيْنِ:

يَوْمٌ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ قَضَاءَهُ فَمَا شَأْنُكُمْ مَعِي وَأَنَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي عَافِيَةٍ.

وَيَوْمٌ أَرَادَ اللَّهُ ابْتِلَائِي وَقَضَى عَلَيَّ فِيه قَضَائِهِ فَمَا يَنْفَعُنِي إِحَاطَتُكُمْ وَلَا تَقْدِرُونَ عَلَى رَدِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ."

وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذِكْرَهُمْ وَذَكَرَ أَعْمَالَهُمْ هُمُ **"الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ وَهُمُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)} [الإنفطار : ١٠-١٢]**

مَلَكٌ عَنْ يَمِينِكَ وَمَلَكٌ عَنْ يَسَارِكَ فَمَا مِنْ لَفْظة وَلَا مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا مِنْ هَمّة إِلَّا وَذَلِكَ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، يُعْرَضُ عَلَيْكَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِمَّا فَرَحٌ وَإِمَّا طرَحٌ إِمَّا عُلُوٌّ وَإِمَّا سُفْل إِمَّا كَرَامَةٌ وَإِمَّا خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ.

الْمَلَائِكَةُ أعَدَادُهُمْ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ **"أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فِي السَّمَاءِ يَدْخُلُ وَفِي رِوَايَةٍ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِ."**

مَنْ أَنْتَ وَمَنْ تَكُونُ فِي دُنْيَا اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بَلْ مَنْ أَنْتَ وَمَنْ تَكُونُ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، طَاعَتُكَ لَا تُسَاوِي شَيْئًا، وبذلُك وَإِنْفَاقُكَ لَا يُسَاوِي شَيْئًا وَدَعْوَتُكَ وَحَمْلُكَ لِكِتَابِ رَبِّكَ بِجَانِبِ تِلْكَ الْمَلَائِكَةِ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُسَاوِي شَيْئًا.

فَأَمْثَالُكَ كَثِيرُونَ مَلَائِكَةٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ يَدْخُلُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ

"لَا يَعُودُونَ." أَيْ مَنْ دَخَلَهُ يَوْمًا لَا يَعُودُ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى.

فَكَمْ يَكُونُ عَدَدُ مَلَائِكَةِ اللَّهِ لَا يَعْرِفُ عَدَدَهُمْ وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَهُمْ وَلَا يُحِيطُ بِهِمْ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

"ومَنْ أَنْكَرَ وُجُودَ الْمَلَائِكَةِ فَقَدْ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ" لِأَنَّ وُجُودَ الْمَلَائِكَةِ وَبَيَانَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَعْلُومِ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

"وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ:

{وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء : ١٣٦]"

"وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ" فَهَذَا هُوَ الرُّكْنُ الثَّالِثُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ مَعَ كُلِّ رَسُولٍ كِتَابَهُ كَمَا قَالَ:

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥].

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَمَا أَقَامَ الْأَرْضَ بِالْمِيزَانِ أَقَامَ الدِّينَ بِرسُلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَالَ تَعَالَى فِي بَيَانِ دَوْرِ الرُّسُلِ فِي حَيَاةِ الْخَلْقِ:

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا

بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [البقرة : ٢١٣]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ عَلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ يَعْبُدُونَ رَبًّا وَاحِدًا وَيَتَّبِعُونَ شَرِيعَةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَأَوْقَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَأَفْسَدَ عَلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ وَشَتَّت شَمْلَهُمْ وَجَعَلَهُمْ يَعْبُدُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَأَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ بِالْجَنَّةِ وَمُنْذِرِينَ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالْعِصْيَانِ بِالنَّارِ {وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ} نَزَّلَ هَذَا الْكِتَابَ بِالْحَقِّ {لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ} لِيُبَيِّنَ الْمُحِقَّ مِنَ الْمُبْطِلِ، الصَّائِبَ مِنَ الْمُخْطِئِ.

وَحِينَمَا نَنْظُرُ نَجِدُ أَنَّ هَذَا الِاخْتِلَافَ لَمْ يَأْتِهِمْ إِلَّا بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَكَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّحِدُوا بَعْدَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْعِلْمُ وَالْبَيِّنَاتُ وَلَكِنَّ الْحَسَدَ وَالْحقد وَالْبَغْيَ وَالظُّلْمَ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ، شَتَّت شَمْلَهُمْ

{فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ} اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَصْرِفُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَقِّ كَمَا يَصْرِفُ قُلُوبَ الْمُنَافِقِينَ عَنِ الْحَقِّ، فَاللَّهُ يَهْدِي أَهل طَاعَتَهُ لِطَاعَتِهِ وَيصْرَفَ أهل مَعْصِيَتِهِ عَنْ طَاعَتِهِ {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

فَالْمُسْلِمُ **" يُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْكُتُبِ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:**

{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة : ١٣٦]".

الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ لَيْسَ هُوَ الْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،، وَلَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ هُوَ اللَّهُ وَالَّذِي نَبَّئَهُمْ هُوَ اللَّهُ وَالَّذِي اصْطَفَاهُمْ وَاجْتَبَاهُمْ هُوَ اللَّهُ، فَمَنْ أَنْكَرَ رِسَالَةَ أَحَدِهِمْ فَكَأَنَّمَا أَنْكَرَ الرِّسَالَاتِ جَمِيعًا وَفِي ذَلِكَ **" يَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ:**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء : ١٣٦]

يَا مَنْ رَضِيتم بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، ادَّعَيْتُمُ الْإِيمَانَ دَعْوَى فَحَقِّقِوا الْإِيمَانَ عَقِيدَةً وَصِدْقًا، وَذَلِكَ بِتَحْقِيقِ مَا نَزَلَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى رَسُولِهِ، وَمَا أُنْزِلَ

مِنَ الْكُتُبِ عَلَى مَنْ كَانُوا قَبْلَهُ فَنؤْمِنُ بِرَسُولِنَا وَبِكِتَابِهِ وَنُؤْمِنُ بِرُسُلِ اللَّهِ وَبِكُتُبِهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ أَوْ بِمَلَائِكَتِهِ أَوْ بِكُتُبِهِ أَوْ بِرُسُلِهِ أَوْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.

وَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ صَرَاحَةً فَقَالَ لَهُ:

"{وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ}" [الشورى: ١٥]

وَهُوَ مُتَّبَعٌ فَنُؤْمِنُ بِمَا آمَنَ بِهِ وَنُصَدِّقُ بِمَا صَدَّقَ بِهِ، وَالْفُرْقَانُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ الْكُفْرَانِ هوَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ مِمَّا غَابَ عَنَّا، وَالْإِيمَانُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَى نَبِيِّنَا وَإِلَى مَنْ قَبْلَهُ. وَفِي ذَلِكَ **"يقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ:**

{الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣)

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)} [البقرة : ١-٤]"

فالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ **"أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا مِنْ كَلَامِ غَيْرِهِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً كَمَا شَاءَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَ."**

"فَمِنْهَا الْمَسْمُوعُ مِنْهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ"

مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ مَا سُمِعَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ بِدُونِ وَاسِطَةٍ **"كَمَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا بِدُونِ وَاسِطَةٍ قَالَ تَعَالَى:{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف: ١٤٣]"** كَلَّمَهُ رَبُّهُ بِلَا وَاسِطَةٍ.

"وَقَالَ: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [الأعراف: ١٤٤]

فَاخْتَصَّهُ بِالرِّسَالَةِ وَبِالْكَلَامِ لِذَلِكَ يُقَالُ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ.

"وَمِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ مَا يُسْمِعُه اللَّهُ تَعَالَى الرَّسُولَ الْمَلَكِيَّ وَيَأْمُرُهُ بِتَبْلِيغِهِ مِنَه إِلَى الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ" فَالرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ وَاسِطَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ.

"قَالَ تَعَالَى: {۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى : ٥١]

" كَمَا أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرَائِعِ وَأَنَّهُ كَانَ وَاجِبًا عَلَى الْأُمَمِ الَّتِي نَزَلَتْ إِلَيْهِمْ ـالِانْقِيَادُ لَهُ وَالْحُكْمُ بِمَا فِيهِ"

أَنْ تُؤْمِنُ أَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ كُتُبًا أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَكَانَتْ شَرِيعَةً عَلَى أَقْوَامِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَا شَكٍّ وَلَا تَرَدُّدٍ، لِأَنَّ مَنْ شَكَّ فِي كِتَابٍ فَقَدْ شَكَّ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَمَنْ شَكَّ فِي نُبُوَّةِ نَبِيٍّ فَقَدْ شَكَّ فِي نُبُوَّةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ.

وَأَنْ يُؤْمِنَ **" أَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا لَا يُكَذِّبُهُ،"** فَالتَّوْرَاةُ تُصَدِّقُ الْإِنْجِيلَ وَتُؤَكِّدُهُ، وَالْإِنْجِيلُ يُؤَكِّدُ الْقُرْآنَ وَيُصَدِّقُهُ،

هَذِهِ عِلَاقَةُ الْكُتُبِ بِالْكُتُبِ لَا يُخَالِفُ كِتَابٌ كِتَابًا وَلَا يُعَارِضُ كِتَابٌ كِتَابًا لِأَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُمْ جَمِيعًا هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ أَنْ نُؤْمِنَ **"أَنَّ نَسْخَ الْكُتُبِ الْأُولَى بَعْضَهَا بِبَعْضٍ حَقٌّ،"** فَقَدْ نَسَخَ الْإِنْجِيلُ التَّوْرَاةَ وَنَسَخَ الْقُرْآنُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَصُحُفَ إِبْرَاهِيمَ، **"كَمَا نُسِخَ بَعْضُ شَرَائِعِ التَّوْرَاةِ بِالْإِنْجِيلِ.**

قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [آل عمران: ٥٠].

فَقَدْ كَانَتْ أَشْيَاءُ فِي التَّوْرَاةِ مُحَرَّمَةً فَأَحَلَّهَا اللَّهُ، وَأَلْغَى الْحُكْمَ بِالنَّسخ فَصَارَتْ حَلَالًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ حَرَامًا.

"وَكَمَا نَسَخَ الْقُرْآنُ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ فَقَالَ تَعَالَى: {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨]

"وَقَالَ سُبْحَانَهُ" فِي شَأْنِ الْقُرْآنِ العظيم **":{ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٧-٢٨]."** أيْ الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ أَجْمَعِينَ، لِلْأُمَمِ الَّتِي هِيَ دَاخِلَةٌ فِي أُمَّةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ فَلَا يَهُودِيَّةَ وَلَا نَصْرَانِيَّةَ وَلَا كَذَا وَلَا كَذَا بَعْدَ بِعْثَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"وَالْإِيمَانُ بِكُتُبِ اللَّهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِجْمَالًا فِيمَا أُجْمِلَ وَتَفْصِيلًا فِيمَا فُصِّلَ."

فَالْإِيمَانُ بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مُجْمَلٌ وَالزَّبُورُ وَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ مُجْمَلٌ لَسْنَا بِمُطَالَبِينَ أَنْ نَبْحَثَ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ وَلَا أَنْ نُنَقِّبَ عَنْ بَوَاطِنِهَا وَلَا أَنْ نَقِفَ عِنْدَ أَلْفَاظِهَا وَشَعَائِرِهَا وَإِنَّمَا نُؤْمِنُ بِأَنَّهَا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَعَلَى أَقْوَامِهِ فَهَذَا هُوَ الْمُجْمَلُ.

وَأَمَّا الْمُفَصَّلُ **"فَقَدْ فَصَّلَ اللَّهُ تَعَالَى أَسْمَاءَ بَعْضِ كُتُبِهِ فَسَمَّى اللَّهُ التَّوْرَاةَ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى وَالْإِنْجِيلَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى وَالزَّبُورَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى دَاوُدَ وَالْقُرْآنَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَذَكَرَ تَعَالَى صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمْ جَمِيعًا الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ.**

فَنُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْكُتُبِ عَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ كَمَا أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ كُتُبًا كَثِيرَةً إِجْمَالًا لَمْ يُسَمِّ مِنْهَا شَيْئًا فَنُؤْمِنُ بِهَا عَلَى هَذَا الْإِجْمَالِ. قَالَ تَعَالَى:{وقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ} [الشورى: ١٥].

وَأَمَّا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِرُ الْكُتُبِ فَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ وَهُوَ نَاسِخٌ لِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَامٌّ لِلثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. قَالَ تَعَالَى:{وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ} [القلم : ٥٢]"

هَذَا الْكِتَابُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَاجْتَبَاهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُوَ **"شَامِلٌ لِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ. قَالَ تَعَالَى:الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المائدة : ٣] "**

أَكْمَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الدِّينَ فَلَا نُقْصَانَ فِيهِ، وَأَتَمَّه اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَلَا زِيَادَةَ فِيهِ، وَرَضِيَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَا مَجَالَ لِسخطِ السَّاخِطِينَ وَلَا لِتَبَرُّمِ الْمُتَبَرِّمِينَ.

وكما قال سلمان الفارسي رضى الله عنه:لما قال له الحبر اليهودي: عجبا لكم يا سلمان لقد علمكم نبيكم كل شيء.

فعَنْ سَلْمَانَ قَالَ : قِيلَ لَهُ : قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ ، قَالَ : فَقَالَ : أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ

الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ.

رواه مسلم

فبين لَهُ أَنْ هَذَا الدِّينَ لَمْ يترك حَتَّى تِلْكَ الْأُمُورَ الْمُسْتَقذرةَ حَتَّى مَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّبُرِ.

فَكَيْفَ مَا يَكُونُ بِمُعَامَلَةٍ بَيْنَ الْأُمَمِ وَأَنْبِيَائِهَا وَرُسُلِهَا، بَيْنَ الْأُمَمِ وَحُكَّامِهَا وَعُلَمَائِهَا بَيْنَ الْأُسَرِ وَآبَائِهَا وَأَبْنَائِهَا، بَيْنَ الْأُمَمِ وَجِيرَانِهَا وَأَصْهَارِهَا وَبَائِعِيهَا وَمُشْتَرِيهَا.

فَدِينُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دِينٌ كَامِلٌ لَيْسَ فِيهِ نُقْصَانٌ، تَامٌّ لَا يَقْبَلُ زِيَادَةً، مَرْضِيٌّ عَنْهُ لَا يَقْبَلُ سَخَطَ سَاخِطٍ وَلَا تَبَرُّمَ مُتَبَرِّمٍ.

الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ كِتَابٌ **"مُعْجِزٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ. قَالَ تَعَالَى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا**

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨]

منذ أَنَّ صَدَعَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا وَمَعَ تغاير الْعُصُورِ وَمَعَ تَبَدُّلِ الْأُمُورِ وَتَغَيُّرِ الْأَحْوَالِ وَاشْتِدَادِ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ هذا كِتَابٌ يُضَارِعُ الْقُرْآنَ أَوْ يُشَابِهُهُ أَوْ يُمَاثِلُهُ أَوْ يَأْتِي بِنَظِيرِهِ، فبقي التَّحَدِّي قَائِمًا وَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ فِي حَلْبَتِهِ وَلَا أَنْ يَتَصَدَّرَ لِمُجَابَهَتِهِ، وَمِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ كَمَا **"قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت : ٤٢]"**

مَهْمَا نَقَّبُوا وَمَهْمَا بَحَثُوا وَمَهْمَا فَتَّشُوا فَلَنْ يَجِدُوا فِيهِ أَمْرًا يُشِينُه أَوْ يُعِيبُه أَوْ يَرُدّ عَلَيْهِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَوْ نَهْيٍ مِنْ نَوَاهِيهِ أَوْ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِهِ، وَهَذَا لِأَنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

"الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ" فَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَزِيدَ فِيهِ شَيْئًا أَوْ يُنْقِصَ مِنْهُ شَيْئًا، يُتَلَقَّى بالتواتر مِنْ لَدُنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْآنَ بالسَّنَدِ الْمُتَّصِلِ عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ حَتَّى يَصِلَ إِلَى النَّبِيِّ الْهُمَامِ فِي رِوَايَتِهِ وَقِرَاءَتِهِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ تِلَائِيَّةٍ، وَأَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ، وَأَلْفَاظٍ لُغَوِيَّةٍ، بَلْ نَبَرَاتٍ صَوْتِيَّةٍ كُلُّ ذَلِكَ مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّنَا مِنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ وَأَنَّ كِتَابَنَا هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ هي منن عظيمة رَسُولُنَا خَيْرُ رَسُولٍ أُرْسِلَ وَكِتَابُنَا خَيْرُ كِتَابٍ أُنْزِلَ وَأُمَّتُنَا خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وَمِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ الرُّكْنُ الرَّابِعُ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ، وَلَا يَكُونُ الْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ إِلَّا **" بِالتَّصْدِيقِ الْجَازِمِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ يُكْفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ."**

فَالرُّسُلُ جَاءَتْ لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ النَّاسِ وَالْكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَالِقِ النَّاسِ.

وَأَنْ يُؤْمِنَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالرُّسُلِ يُؤْمِنُ " **أَنَّ جَمِيعَهُمْ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ بَارُّونَ رَاشِدُونَ كِرَامٌ بَرَرَةٌ أَتْقِيَاءُ أُمَنَاءُ هُدَاةٌ مُهْتَدُونَ وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ اللَّهِ جَمِيعًا."**

اللَّهُ يصطفي مِنْ خَلْقِهِ منْ يَكُونُ أَهْلًا لِمَحَلِّ تَنَزُّلِ كِتَابِهِ وَمنْ يَكُونُ أَهْلًا لِحَمْلِ أَحْكَامِهِ فِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ.

إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يَجْعَلُ هَذَا الدِّينَ إِلَّا عِنْدَ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَضِيَهُ لدِينِهِ وَرَضِيَهُ لِخَلْقِهِ وَرَضِيَهُ لِشَرْعِهِ.

فأنبياء اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَا لَهُمْ مِنْ أَخْلَاقٍ فَاضِلَةٍ وَقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ وَأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ.

فيضع اللَّهُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةِ بِهِ.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ أَنْ نُؤْمِنَ **"أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا"** وَالْخُلَّةُ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ، فَمَا أَحَبَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ دُونَ مُحَمَّدٍ كَمَا أَحَبَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ما أَحَبَّ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ قَبْلَ نَبِيِّنَا الْأَمِينِ وَلَا أَحَبَّ رَسُولًا مِنْ رُسُلِهِ قَبْلَ رَسُولِنَا الْكَرِيمِ كَمَا أَحَبَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاتَّخَذَهُ خَلِيلًا **"وَاتَّخَذَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا خَلِيلًا."** فَنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِالْخُلَّةِ، فَمَا أَحَبَّ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ وَمِنْ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ كَمَا أَحَبَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا." اصْطفَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدًا بِالْخُلَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا واصْطفَى اللَّهُ مُوسَى بِالتَّكْلِيم،

"ورفع إِدْرِيسَ مَكَانًا عَلِيًّا، وأن عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحًا مِنْهُ."

اصْطفَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِيسَى فَهُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَهُوَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أكرمه بِعِبَادَتِهِ وَرِسَالَتِهِ.

"وَأَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَى بَعْضٍ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ دَرَجَاتٍ."

فَفَضَّلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفَضَّلَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ. وَأُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ هُمْ: نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام وُمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هؤُلَاءِ مُصْطَفَوْنَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ.

وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْطَفَاهُ اللَّهُ عَلَى الْمُصْطَفِيْنَ مِنَ الرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. فَنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: **"أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ".**

"وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ أَنْ نُؤْمِنَ أَنَّ دَعْوَتَهُمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ اتَّفَقَتْ فِي أَصْلِ الدِّينِ وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى بِأُلُوهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ."

فَالْإِسْلَامُ دِينٌ وَاحِدٌ أَجْمَعَ الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا، الْإِسْلَامُ دِينٌ وَاحِدٌ وَدَعْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، الْإِسْلَامُ دِينٌ وَاحِدٌ وَالَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِلْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا،

" قال تعالى {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ }[آل عمران: ١٩]

وقال تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

وَقَالَ تعالى عن نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: ٧٢].

وَقَالَ تعالى عن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس: ٨٤].

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ سُلَيْمَانَ، قال سُبْحَانَهُ عَنْ سُلَيْمَانَ، عَلَى لِسَانِ بِلْقِيسَ: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: {۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} [الشورى : ١٣]

فَدينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَالدِّينُ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ جَمِيعًا.

وَكَمَا أَحْصَى عُلَمَائُنا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرُوا أَنَّ **"عَدَدَ الرُّسُلِ ثلاثُمائة وخمسة عشر رَسُولًا، وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَمِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ،"**

بَعْضُهَا مُسْنَدٌ صَحِيحٌ، وَبعضهَا فِيهِ ضَعْفٌ،

فهَذِهِ أَقْوَالُ عُلَمَاءٍ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ، فِي عَدَدِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ،

لابد لِلْمُسْلِمِ الْمُعْتَقِدِ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَنْ يَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ،

قَالَ عُلَمَائنا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ: **" وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ هُوَ الَّذِي ينبوءه اللَّهُ، وَهُوَ يُنبئ بِمَا أَنْبَأَهُ اللَّهُ بِهِ، فَإِنْ أُرْسِلَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ، لِيُبَلِّغَهُ رِسَالَةً مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَهُوَ رَسُولٌ"**

يُنْبِئُ النَّبِيُّ عَلَى يَدِ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ واجتباه، وَأَمَرَهُ وَنَهَاه فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، فَإِنْ أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ وَنَهْيُهُ إِلَى قَوْمِهِ، فَهَذِهِ رِسَالَةٌ وَلَيْسَتْ بِنُبُوَّةٍ.

"وأَمَّا مَنْ كَانَ يَعْمَلُ بِالشَّرِيعَةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ، وَلَمْ يُرْسَلْ هُوَ إِلَى أَحَدٍ يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ رِسَالَةً، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ "

يَعْنِي إن نُبئ النَّبِيُّ عَنْ طَرِيقِ مَلَائِكَةِ اللَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ واجتباه، وَهُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى رِسَالَةٍ كَانَتْ قَائِمَةً قَبْلَهُ، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيغِ شَيْءٍ جَدِيدٍ، فَهَذَا نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ.

"قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، النَّبِيُّ وَحْدَهُ: الَّذِي يُكَلَّمُ وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ وَلَا يُرْسَلُ، فَعَلَيْهِ فَإِنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا"

قَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى لَنَا جُمْلَةً مِنْهُ، كَآدَمَ وَنُوحٍ وَإِدْرِيسَ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَلُوطٍ

وَشُعَيْبٍ وَيُونُسَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَإِلْيَاسَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَالْيَسَعَ وَذِي الْكِفْلِ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ، وَذَكَرَ الْأَسْبَاطَ جُمْلَةً، وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ،" هَؤُلَاءِ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ نَبِيٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ رَسُولٌ، فَالْأَسْبَاطُ كَمَا قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا أَنْبِيَاءُ، وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ، لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ أُرْسلَ هو نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا آدم خُصَّ بِأُبُوَّةِ الْبَشَرِ وَلَيْسَ بِالنُّبُوَّةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اصْطَفَاهُ بالأبوة وَهَذَا مَا يُذْكَرُ بِهِ بَيْنَ يدَيْهِ، وجَمَعَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ أَنَّ آدَمَ أَبُو الْبَشَرِ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ حَيْثُ نُبِيَ وَاصْطِفَاءُ اللَّهِ واجتبائه وعُلِّم وَنَزَلَ يُعْلِّمُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ غَيْرِ مَا إِرْسَال.

" وَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ نَبَأِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ فَفِيهِ كِفَايَةٌ وَعِظَةٌ وَعِبْرَةٌ قَالَ تَعَالَى: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤].

فَنُؤْمِنُ بِجَمِيعِهِمْ تَفْصِيلًا فِيمَا فَصَّلَ اللَّهُ وَإِجْمَالًا فِيمَا أَجْمَلَ اللَّهُ.

"وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ رُبُوبِيَّةٍ شَيْءٌ" لَا يَخْلُقُونَ وَلَا يَرْزُقُونَ وَلَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ بَلْ هُمْ أَحْوَجُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُوَفَّقُوا وَأَنْ يُسَدَّدُوا.

قَالُوا جَمِيعًا {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ } [هود : ٨٨]

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَجَاءَ عَلَى سَيِّدِهِمْ وَخَاتَمِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **"قَالَ{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**

يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف : ١١٠]

وَقَالَ تَعَالَى:{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [ابراهيم : ١١]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان : ٢٠]

فَالرُسُلٌ مَعَ مَا لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَمَعَ مَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَرْقَوْنَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِنَ الْغَيْبِيَّةِ شَيْءٌ وَلَا مِنَ الْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ بَلْ هُمْ بَشَرٌ فِي مُنْتَهَى أَمْرِهِمْ.

"قَالَ تَعَالَى:{قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} [الأنعام : ٥٠]

وَقَالَ سُبْحَانَهُ:{قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف : ١٨٨]"

فَالْمَلَائِكَةُ، فَالرُّسُلُ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنَ الْغَيْبِ وَلَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ فَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْغَيْبِ شَيْئًا وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَكَانُوا مِنَ الْخَيْرِ يَسْتَكْثِرُونَ، وَلَكَانُوا عَنِ الشَّرِّ يَبْتَعِدُونَ، وَمَا هُمْ إِلَّا مُنْذِرُونَ مُبَشِّرُونَ لِقَوْمٍ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ **"أَنَّهُمْ عَبِيدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِالرِّسَالَةِ وَوَصَفَهُمْ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي أَعْلَى مَقَامَاتِهِمْ وَفِي سِيَاقِ**

الثَّنَاءِ عَلَيْهِم"، فَأَعْظَمُ مَا آتَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ رُسُلَهُ أَنْ أَكْرَمَهُمْ بِالرِّسَالَةِ وَأَكْرَمَهُمْ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي أَعْلَى الْمَقَامَاتِ فِي سِيَاقِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِم.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ أَنْ نُؤْمِنَ **"بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَتَمَ الرِّسَالَاتِ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]."**

فَرَسُولُ اللَّهِ رَسُولٌ إِلَى اليَهُودَ، وَرَسُولٌ إِلَى النَّصَارَى، وَرَسُولٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَرَسُولٌ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ. لوَأَنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ لفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ بِمَا كَذَّبُوا وَبِمَا كَسَبُوا. وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا، وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

وَرِسَالَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، **"قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]."**

رَحْمَةٌ لِلْبَهَائِمِ الْعُجْمَاوَاتِ، رَحْمَةٌ لِلْإِنْسَانِ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ، رَحْمَةٌ لِخَلْقِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ.

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً بِرِسَالَتِهِ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً بِشَرِيعَتِهِ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً بِشَفَاعَتِهِ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

" قَالَ تَعَالَى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ: ٢٨]."

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِلْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَأَرْسَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَرْسَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي مُطْلَقِ الزَّمَانِ مِنْ بِعْثَتِهِ إِلَى يَوْمِ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى النَّبِيِّينَ إِنْ أَدْرَكُوا زَمَنَ نَبِيِّنَا الْأَمِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَّبِعُوهُ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ رِسَالَتَهُ خَاتِمَةُ الرِّسَالَاتِ وَأَنَّهَا نَاسِخَةٌ لِكُلِّ رِسَالَةٍ مَضَتْ، قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)} [آل عمران : ٨١-٨٢]

أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا مِنْ لَدُنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ لَوْ أَدْرَكُوا زَمَانَ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُمْ يَنْخَلِعُوا مِنْ رِسَالَتِهِم وَيَتْرُكُوا شَرَائِعَهُم وَيَتْرُكُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي أَدْيَانِهِمْ وَيَدِينُوا بِدِينِ مُحَمَّدٍ وَيَنْضَوُوا تَحْتَ شَرِيعَتِهِ.

وَفِي هَذَا تَوْجِيهٌ لِلْأُمَّةِ أَنْ يَجْعَلُوا لَهُمْ مَنْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، مَنْ يَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، مَنْ يَرُدُّونَ إِلَيْهِ النَّوَازِلَ حِينَ نُزُولِهَا، وَالْأَقْضِيَةَ عِنْدَ اخْتِلَافِهَا وَاسْتِشْكَالِهَا.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَوْجِيهٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَنْصِبُوا مِنْهُمْ مَنْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى لَا يَخْتَلِفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلَا يَخْتَلِفَ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ الْعَهْدَ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فَلْيُذْعِنْ وَأَنْ يُتَابِعَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فِي أَمْرِ الرِسَالَاتٍ فَكَيْفَ فِي أَمْرِ الْعِلْمِ وَالْفُتْيَا فِي دِينِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ

" وَقَدْ بَشَّرَ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بَشَّرَ الرُّسُلُ جَمِيعًا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي

اسْمُهُ أَحْمَدُ ﷺ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصف : ٦]

وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بَشَّرَ بِهِ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ **"قَالَ تَعَالَى: {۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ} [الأعراف : ١٥٦-١٥٧]**

فَذَكَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ وَأَمَرَ أَنْبِيَاءَهُ وَأَتْبَاعَهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ إِذَا أَدْرَكُوهُ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بَيَانٌ أَنَّ مَنْ خَرَجَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فَهُوَ إِلَى النَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَارُ

"فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ".

فأولئك الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ سَمِعُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُولَئِكَ الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُلْحِدُونَ وَالْوَثَنِيُّونَ وَالْبُوذِيُّونَ هَؤُلَاءِ أَقَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ بِالسَّمَاعِ بِبَعْثَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِسَالَاتِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ فَمَنْ سَمِعَ بِهِ وَأَتَاهُ خَبَرُهُ وَنَبَأُهُ فَلَمْ يُؤْمِنْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَارُ.

"فَمَنْ كَذَّبَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا فَقَدْ كَفَرَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ حَتَّى بِرَسُولِهِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهِ مُتَّبِعٌ لَهُ،" فَالْيَهُودُ كَفَرَةٌ لا لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ وَلَكِنَّهُمْ كَفَرَةٌ

لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَذَلِكَ النَّصَارَى وَكَذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ وَالْبُوذِيُّونَ وَالْمُلْحِدُونَ

"قَالَ تَعَالَى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٠٥]" هُمْ كَذَّبُوا نُوحًا وَحْدَهُ وَلَكِنْ أَقَامَهُمُ اللَّهُ مُقَامَ مَنْ كَذَّبَ بِالرُّسُلِ جَمِيعًا

"فَجَعَلَهُمُ مُكَذِّبُونَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ نُوحا رَسُولٌ" فَنُوحٌ هُوَ أَوَّلُ الرُّسُلِ وَلَكِنْ لَمَّا كَفَرُوا بِهِ عَدَّهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ كَافِرِينَ.

وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ أَنْ **"نُؤْمِنَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنِ ادَّعَى بَعْدَهُ النُّبُوَّةَ كَفَرَ وَمَنْ صَدَّقَهُ كَفَرَ قَالَ تَعَالَى: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠].**

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بست: أُعْطِيتُ

جَوَامِعَ الْكَلِمِ ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ".

"فَمَنْ كَذَّبَ بِرِسَالَةِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَقَدْ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٥٢)} [النساء : ١٥٠-١٥٢]

فَالْإِيمَان الإِيمَان عِبَادِ اللَّهِ

الْإِيمَانُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْإِيمَان بِالْمَلَائِكَةِ أَجْمَعِينَ، وَالْإِيمَان بِالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْإِيمَان بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ،

فَهَذِهِ أَرْكَانٌ أَرْبَعٌ لَا يَقُومُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهَا وَتَمامها ويُجمعُ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ ونعوذ بالله من الشك وعدم اليقين، وَأَكْرِمْنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِتَحْقِيقِ هَذَا الدِّينِ وَأَنْ نَكُونَ مِنْ أَهْلِه الصَّادِقِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

.....

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ وَمَا مِنْ عَمَلٍ إِلَّا وَلَهُ مُقَدِّمَةٌ وَنَتِيجَةٌ.

والْبِدَايَاتُ هِيَ طَرِيقُ النِّهَايَاتِ وَالْمُقَدِّمَاتُ هِيَ طَرِيقُ النَّتَائِجِ، وَمَنْ عَاشَ عَلَى خَيْرٍ مَاتَ عَلَى خَيْرٍ وَلَقِيَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَى خَيْرٍ، وَمَنْ عَاشَ عَلَى سُوءٍ وَشَرٍّ مَاتَ عَلَى سُوءٍ وَشَرٍّ وَلَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَذَلِكَ، فَمَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ وَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعِثَ عَلَيْهِ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

وَيَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَضَعَ دَائِمًا وَأَبَدًا نِهَايَتَهُ وَأَنْ يَجْعَلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَ لِقَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نُصْبَ

عَيْنَيْهِ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ بَاعِثٌ عَلَى أَعْمَالٍ فَاضِلَةٍ وَسُلُوكٍ مُسْتَقِيمَةٍ، وَقَدْ قَرن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ عَلَى عُتْبَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ".

"وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ".

"وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بَاعِثٌ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ مَانِعٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَهُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ لَا يَتِمُّ تَمَامُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِتَحْصِيلِهِ. فَفِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ

فَقَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ".

فَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ وَمِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

مَا هُوَ الْيَوْمُ الْآخِرُ؟

"هوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَمَا يَجْرِي فِيهِ مِنْ أُمُورٍ وَأَهْوَالٍ يُؤْمِنُ أَهْلُ السُّنَّةِ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة: ٤]. وَقَالَ تَعَالَى: {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء : ٨٧]"

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا هُوَ.

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُقْسِمُ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ يُقْسِمُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُؤَكِّدَ للمرتابين وَأَنْ يُؤَكِّدَ الْأَمْرَ عَلَى حَقِيقَتِهِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

{لَيَجْمَعَنَّكُمْ} اللَّامُ لَامُ التَّأْكِيدِ وَنُونُ الْفِعْلِ نُونُ التَّأْكِيدِ، {لَيَجْمَعَنَّكُمْ} يَا بَنِي آدَمَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُفَاةً بِلَا نِعَالٍ، عُرَاةً بِلَا مَلابِسَ غُرْلًا بِلَا خِتَانٍ. (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)

وَأَهْلُ الْحَقِّ لَا يَعْبَئُونَ بِمَا يَتَعَرَّضُونَ مِنْ ظُلْمٍ وَاضْطِهَادٍ وَغَمٍّ وَعِنَادٍ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ السَّاعَةَ قَائِمَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيُجْرِي الْحِسَابَ عَلَى مُقْتَضَى الْحَقِّ وَالْمِيزَانِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **":{وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥]."**

إِنَّ السَّاعَةَ الَّتِي يُحَاسَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى فِعْلِهِ عَلَى صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ، عَلَى عَظِيمِهِ وَحَقِيرِهِ، عَلَى طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ آتِيَةٌ، فدعك مِنْهُمْ وَاصْفَحْ عنهم الصَّفْحَ الْجَمِيلَ.

وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ يَوْمَ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَالْإِيمَانُ بِرَدِّ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَالْإِيمَانُ بِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ أَوِ النَّعِيمِ، **"وَالْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَهُوَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى"** يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

"وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} [الزمر : ٦٨]"

يَأْمُرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ فيفزغ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَيُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ

فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَنْفُخُ نَفْخَةً أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ.

قِيَامٌ قَدْ بَعَثَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ قُبُورِهِمْ وَأَحْيَاهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ مَمَاتِهِمْ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

هوَالَّذِي بَدَأَ وَهُوَ الَّذِي يُعِيدُ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَا وَهُوَ الَّذِي يُمِيتُ.وَفِي ذَلِكَ **"يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: ١٠٤]."**

فَلَا يَصْعُبُ الْأَمْرُ بَدْءًا وَإِعَادَةً، لَا يَصْعُبُ الْأَمْرُ خَلْقًا وَفَنَاءً، لَا يَصْعُبُ الْأَمْرُ حَيَاةً وَإِمَاتَةً، لَا يَصْعُبُ الْأَمْرُ عَلَى اللَّهِ، وَكَيْفَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

لَا يَصْعُبُ الْأَمْرُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِحْيَاءً وَإِمَاتَةً بَدْءًا وَانْتِهَاءً مَوْتًا وَفَنَاءً فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فِي هَذَا الْيَوْمِ يَظْهَرُ الْمَكْنُونُ وَيَظْهَرُ كُلٌّ بِعَمَلِهِ وَفِعْله، كُلٍّ بِطَاعَتِهِ أَوْ مَعْصِيَتِهِ حِينَ تَتَطَايَرُ الصَّحَائِفُ، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ فَرِحٌ مَسْرُورٌ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ مَحْزُونٌ مَهْمُومٌ.

"فَالْإِيمَانُ بِصَحَائِفِ الْأَعْمَالِ من الْإِيمَانُ الْيَوْمَ بِالْآخِرِ حَيْثُ تُعْطَى بِالْيَمِينِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ الظُّهُورِ بِالشِّمَالِ."

"وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)} [الحاقة : ١٩-٢٤]"

فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَا فِيهَا وَفِيهَا مِنَ اليُمن مَا فِيهَا وَفِيهَا مِنَ

الْبَرَكَاتِ مَا فِيهَا، أَهْلُ يَمِينِ فِي مُعْتَقَدِهِمْ وَأَهْلُ يُمن فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَهْلُ بَرَكَةٍ فِي ذَاتِهِمْ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ.

فتأتي الصُّحُف يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَطَايِرَةٌ وَهَا هُمْ يَسْعَوْنَ إِلَى أَخْذِهَا، فَيطْلَقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَيْمَانَهُمْ مِنْ غَيْرِ مَا قُدْرةٍ يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، لِأَنَّ غَيْرَهُمْ قَدْ شُلَّتْ يَمِينُهُ فما استطاع لَهَا حَرَكَةً وَلَمْ يَسْتَطِعْ بِهَا أَخْذَا.

فَوَفَّقَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى أَخْذِ كُتُبِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ كَمَا كَانَتْ أَيْمَانُهُمْ سَابِقَةٌ فِي أَعْمَالِهِمْ، فَإِذَا مَا عَايَنُوا تِلْكَ الْمِنَّةَ وَرَأَوْا تِلْكَ النِّعْمَةَ اشْتَدُّوا فَرَحًا وَسُرُورًا وَعَلِمُوا أَنَّ مَا فَعَلُوهُ فِي حَيَاتِهِمْ يَجِدُونَهُ الْيَوْمَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ. فَيطْلَقَ اللَّهُ أَلْسِنَتَهُمْ كَمَا أَطْلَقَ اللَّهُ أَيْمَانَهُمْ فَيَقُولُونَ: يَقُولُ الوَاحِدٌ مِنْهُمْ:**{إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} [الحاقة: ٢٠].**

لَقَدْ كُنْتُ أُوقِنُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ وَلَا أَشُكُّ فِي مَجِيئِهَا وَلَا أَتَرَدَّدَ فِي قَبُولِ خَبَرِهَا فهَذَا مَا كُنْتُ عَلَيْهِ: **{إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}** [الحاقة: ٢٠].

فَإِذَا بِهِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ.

فَإِذَا بِهِ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَكَمَا كَانَ رَاضِيًا بِشَرِيعَةِ اللَّهِ وَدِينِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يرضيه فِي آخِرَتِهِ وَأَجَرَهُ، {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ }أَيْ فِي عِيشَةٍ مَرْضِيَّةٍ

{ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)}.

وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعَاصِي وَأَمَّا أَهْلُ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَالْفُجُورِ فَقَدْ كانوا مِنْ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، وَلَا يَزَالُ الْوَصْفُ بِالشِّمَالِ وَصْفًا

لِأَصْحَابِ الْمَعَاصِي، وَوَصْفًا لِأَصْحَابِ الْفُجُورِ، وَصْفًا لِأَصْحَابِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ. {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)} [الحاقة : ٢٥-٢٩]

لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا، لَيْتَنِي مِتُّ وَلَمْ أُبْعَثْ حَيًّا، {يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} يَا لَيْتَ تِلْكَ الْمَوْتَةَ الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ عَلَيَّ كَانَتْ هِيَ الْقَاضِيَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا عَوْدَةٌ وَلَا أَوْبَةٌ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا حِسَابٌ وَلَا عِقَابٌ.

{مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ} هَذَا الْمَالُ الَّذِي جَمَعْتُهُ مِنْ حَلَالٍ وَمِنْ حَرَامٍ، هَذَا الْمَالُ الَّذِي أَشْغَلَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَيْنَ الْمَالُ يَدْفَعُ عَنِّي مَا أَنَا فِيهِ؟ أَيْنَ السُّلْطَانُ الَّذِي طَالَمَا شُغِلْتُ بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَعَادَيْتُ مَنْ عَادَيْتُ لأصل فِي الْمُنْتَهَى لَدَيَّه {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} فَإِذَا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُ مَلَائِكَتَهُ:{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ} خُذُوهُ فَقَيِّدُوهُ، قيدوه بِأَقْوَالِهِ الْفَاجِرَةِ وَأَعْمَالِهِ الْمَاكِرَةِ وَأَحْوَالِهِ الْفَاسِدَةِ.{ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} اجْعَلُوهُ يَصْلَى تِلْكَ النَّارَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يُصَدِّقُ يَوْمًا أَنَّهُ سَيَصْلَاهَا، {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} أَدْخِلُوهُ هَذِهِ السِّلْسِلَةَ مِنْ فِيهِ وَأَخْرِجُوها مِنْ دُبُرِهِ وَقَيِّدُوهُ بِهِا لِيُلْقَى بِهَا فِي النَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَار.

مَا سَبَبُ ذَلِكَ وَمَا سره ؟{إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} لَا يُوَحِّدُ اللَّهَ رَبًّا وَلَا يَعْبُدُهُ إِلَهًا، وَلَا يُثْبِتُ لَهُ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ، وَكَانَ بَيْنَ النَّاسِ جَاحِدًا مَانِعًا بَخِيلًا مُمْسِكًا لَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، فَلَا هُوَ مُؤْمِنٌ بِالرَّبِّ وَلَا هُوَ مُحْسِنٌ إِلَى الْخَلْقِ. {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦)}

وَهَذَا جَزَاءُ الْخَاطِئِينَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا السَّيْرَ فِي حَيَاتِهِمْ وَلَمْ يُصِيبُوا حَقِيقَةَ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

فَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ، تُوضَعُ فِيهَا الْأَقْوَالُ وَتُوضَعُ فِيهَا الْأَعْمَالُ وَتُوضَعُ فِيهَا الْأَبْدَانُ، وَتُوضَعُ فِيهَا الْمَقَامَاتُ.

أَعْمَالٌ تَكُونُ فِي الْيَمِينِ، تَكُونُ حُجَّةً لِلْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَقْوَالٌ تَكُونُ فِي الشِّمَالِ سَيِّئَاتٌ وَتَكُونُ خَطِيئَاتٍ وَتَكُونُ سَبَبًا فِي الْوُصُولِ إِلَى الدركات. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْإِنْسَانِ مِنْ جِبَالٍ عظيمة، كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ تَكُونُ سَبَبًا فِي ثِقَلِ الْمِيزَانِ حَتَّى تطيش السَّيِّئَات مِنْ كِفَّةِ السَّيِّئَاتِ، وَكَلِمَةُ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ تَكُونُ سَبَبًا فِي تَطْفِيفِ كَثِيرٍ مِنَ

الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، فَكَلِمَةٌ تَكُونُ سَبَبًا فِي دُخُولِ الْجِنَانِ وَكَلِمَةٌ تَكُونُ سَبَبًا فِي وُرُودِ النِّيرَانِ.

وَكَذَلِكَ تُوضَعُ الْأَعْمَالُ: كالصَّلَاةُ والصِّيَامُ والْحَجُّ والصَّدَقَةُ كُلٌّ ذَلِكَ لَهُ وَزْنٌ وَمِيزَانٌ.

وَكَذَلِكَ الْفُجُورُ وَالْعِصْيَانُ كُلٌّ ذَلِكَ لَهُ وَزْنٌ وَمِيزَانٌ.

وَالنَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمِيزَانِ قِسْمَانِ: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)} [المؤمنون : ١٠٢-١٠٣]

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي ثُقْلِ مِيزَانِهِ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي خِفَّةِ سَيِّئَاتِهِ وَثِقَلِ حَسَنَاتِهِ. {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧-٨]

فالتَّقْدِيرُ لَيْسَ بِالْكِيلُو جِرَامٍ وَلَا بِالطُّنِّ وَلَا بِالْقِنْطَارِ، فَالْمِيزَانُ لَا يَكُونُ بِتِلْكَ الْأَثْقَالِ، وَإِنَّمَا الْمِيزَانُ يَكُونُ بِالذَّرَّةِ فِي دِقَّتِهِ وَصِغَرِهِ وَتَقْدِيرِهِ.

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَعْمَالٍ سَوْفَ تسطر فِي كِتَابِهِ وَتُوضَعُ فِي مِيزَانِهِ، فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ سَبَبًا فِي وُصُولِهِ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِ فِي جِنَانِهِ، أَوْ تَكُونَ سَبَبًا فِي سَخَطِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيُلْقَى بِهَا فِي نِيرَانِهِ.

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ وَأَنْ يَعْتَقِدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ **"الْإِيمَانُ بِالشَّفَاعَةِ."**

فَهَذَا الْمَوْقِفُ الرَّهِيبُ يلجأ النَّاسُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ إِلَى نَبِيٍّ بَعْدَ نَبِيٍّ وَإِلَى رَسُولٍ بَعْدَ رَسُولٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ يَقُولُ نَفْسِي نَفْسِي يدفعها إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى تَأْتِيَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى تَأْتِيَ إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

وَخَيْرِ النَّبِيِّينَ الَّذِي عَاشَ يَحُوطُ الْأُمَّةَ إِلَى قِيَامِ النَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيَأْتِي سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ يَقُولُ يا رَبِّ لَا أَسْأَلُكَ فَاطِمَةَ ابْنَتِي وَلَا خَدِيجَةَ زَوْجَتِي، وَلَا صَفِيَّةَ عَمَّتِي وَلَكِنْ أُمَّتِي أُمَّتِي .

فَيَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أُمَّتِهِ يسْأَلُ اللَّهَ أَوَّلًا فِي بَدْءِ الْحِسَابِ ثُمَّ يسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ فِي شَفَاعَةِ أَقْوَامٍ يُرْفَعُونَ إِلَى دَرَجَاتٍ فِي الْجِنَانِ أَوْ يُشْفَّعُوا فِي أَقْوَامٍ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النِّيرَانِ.

فَأَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **"الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ حِينَ يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ لِيُقْضَى "**

فَيَبْدَأُ الْحِسَابَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَشْفَعُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي **"استفتاح بَابِ الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا"** حَيْثُ قُضِيَ لِأَقْوَامٍ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَأْتُونَ الْجَنَّةَ فَيَجِدُونَهَا مُغْلَقَةً فيلجأون إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالْخَاطِبُونَ خُزَّانَ الْجَنَّةِ فَتَقُولُ لَهُمُ أُمِرْنَا أَنْ لَا نَفْتَحَ إِلَّا

لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإِذَا بِهِمْ يَذْهَبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْتَفْتِحَ لَهُمْ بَابَ الْجَنَّةِ.

فيشفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويأتي بَابَ الْجَنَّةِ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ أُمِرْنَا أَنْ لَا نَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنَ الشَّفَاعَاتِ **" شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّه وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَشْفَعُ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لِيُخَفَّفَ عَنْهُ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"**

وَهَذِهِ خَاصَّةٌ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْفَعَ فِي كَافِرٍ فَلَمْ يَجْعَلْهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَهُ لَهُ خَلِيلًا، وَلَمْ يَجْعَلْهَا اللَّهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَهُ لَهُ كَلِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْهَا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي جَعَلَهُ رُوحًا مِنْهُ وَكَلِمَتَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فشفع فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَا لِيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَإِنَّمَا لِيُخَفَّفَ عَنْهُ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ وَقَدْ قَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أبا طالب كَانَ يَحُوطُكَ وَيَرْعَاكَ فَهَلْ تَنْفَعُهُ يَوْمًا مَا فَقَالَ " يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ فَلَوْلَا شَفَاعَتِي فِيهِ لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"

وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ خَفَّفَ عَنْهُ الْعَذَابَ فَهُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ وَهَذَا أَيْسَرُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا.

ومن شفاعات نبينا ﷺ.....

"والشَّفَاعَةُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ أَقْوَامٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. "

أَقْوَامٌ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَكِنْ رَفَعَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي عِلِّيين بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مِنْهُمْ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا سَابِقَةِ عَذَابٍ فَقَال ادعوا الله أَنْ أكُونَ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَنْتَ مِنْهُمْ يَا عُكَّاشَةُ".

فَهَذِهِ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يرْتَفع أَقْوَامٌ إِلَى دَرَجَاتٍ مِنَ الْجِنَانِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ الْهُمَامِ.

وَأَمَّا **"أَهْلُ الْكَبَائِرِ وَهُمْ عُصَاةٌ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ"** فَلَهُمْ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَةٌ تُخْرِجُهُمْ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ أَوْ تَصْرِفُهُمْ عَنْهَا قَبْلَ دُخُولِهَا.

فَإِنَّ مِنْ شَفَاعَات النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُؤْمَرَ بِأَقْوَامٍ إِلَى النَّارِ فَتَأْتِي شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَدْخُلُونَ إِلَيْهَا.

وَأَقْوَامٌ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَيشْفِعَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ.

وَلِلْمُؤْمِنِينَ شَفَاعَةٌ وَقَبْلَ ذَلِكَ لِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ جَمِيعًا فِي أَقْوَامِهِمْ شَفَاعَةٌ وَلِلْمَلَائِكَةِ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءِ شَفَاعَةٌ وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ لَهَا شَفَاعَةٌ **"وَالْقُرْآنُ والصيام شَفِيعَانِ لِأَصْحَابِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَذَلِكَ أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ شُفَعَاءُ لِآبَائِهِمْ"** يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَمِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ:

"الْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ وَلنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْضٌ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَهُ مَشْرَبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا."

وَمِنْ مُفْرَدَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ:

"الْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى بَطْنِ جَهَنَّمَ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَأَوَّلُهُمْ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ. ثُمَّ كَمرِّ الرِّيحِ. ثُمَّ كمرِّ الطَّيْرِ،"

"وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الذي هو بِالْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرِيصٌ، **"قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ"** يَنْتَظِرُ مرور أُمَّتِه، " يَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَاحْفًا.

وَهَذَا الصِّرَاطُ عَلَى جَانِبِهِ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أمرت بِهِ، فَكَلُّوبٌ لِلصَّلَاةِ، فَكَلُّوبٌ لِلزَّكَاةِ، فَكَلُّوبٌ لِلصِّيَامِ، وَكَلُّوب لِلْإِحْسَانِ لِلْجَارِ، وَكَلُّوب للبدع وأَهْلِها.

فَمَنْ مَرَّ وَقَدْ تَوَرّط فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَخَذَهُ ذَلِكَ الْكُلُّوبُ، ثُمَّ أَلْقَى بِهِ فِي النَّارِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمُقَدَّسٌ فِي النَّارِ.

الْإِيمَانُ بِذَلِكَ كُلِّهِ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَكُلُّ ذَلِكَ جَاءَ الدليل عَلَيْهِ **"فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ"** مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي **"أَخْبَارِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَهْوَالِهِ"**

وَالْعَاقِل هوَ الَّذِي يَضَعُ ذَلِكَ الْيَوْمَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ فَلَا يَدْرِي مَتَى يُعَايُنه، فَكَمْ مِنْ مُصْبِحٍ لَمْ يُمْسِ ،وَكَمْ مِنْ مُمْسٍ لَمْ يُصْبِحْ، وَكَمْ مِنْ آكِلٍ لَمْ يُتِمَّ أَكْلَهُ، وَكَمْ مِنْ شَارِبٍ لَمْ يُتِمَّ شَرَابَه، وَكَمْ مِنْ مُتَكَلِّمٍ لَمْ يُكْمِلْ كَلَامَهُ وَدَعَاهُ الْمَوْتُ عَلَى غِرَّةٍ، فَنَقَلَهُ مِنْ طَعَامِهِ إِلَى قَبْرِهِ وَحِسَابِهِ فَنَقَلَهُ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَى أُخْرَاهُ، فَنَقَلَهُ مِنْ عَافِيَتِهِ إِلَى ابْتِلَائِهِ فَاللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا يَوْمَ أَنْ نَلْقَاكَ اللَّهُمَّ لَا تتركنا فِي غَمْرة وَلَا تَأْخُذْنَا عَلَى غِرَّةٍ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْغَافِلِينَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِيمَهُا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ أَنْ نَلْقَاكَ، اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ الَّتِي نَلْقَاكَ عَلَيْهَا يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وَمِنَ الْإِيمَانِ:

"الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ" حُلْوِهِ وَمُرِّهِ

"الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ: هوَ التَّصْدِيقُ الجازم بِأَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ وَأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنِ"

قَدَّرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ فَقَدَّرَ مَا هُوَ كَائِنٌ وَمَا هُوَ سيكون، وَقَدَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَعْمَالَ، وَقَدَّرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَقْوَالَ وَقَائِلَيها، وَالْأَعْمَالَ وَفَاعِليها، وَالْمَصْنُوعَاتِ وَصَانِعيها، كُلُّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ {لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت : ٤٢].

وَفِي ذَلِكَ **"يَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩]"**

أي كلَّ شَيْءٍ قَدَّرْنَاهُ قَبْلَ خَلْقِهِ وَعَلِمْنَا مَا يَكُونُ فِيهِ مِنْ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ وَابْتِدَائِهِ وَانْتِهَائِهِ وَحَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ وَقِمَّتِهِ وَكثرَتِهِ وَفِي ذَلِكَ **" يَقُولُ اللَّهُ {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [الأحزاب: ٣٨]."**

الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ سَبَبٌ فِي هُدُوءِ النَّفْسِ وَاسْتِقْرَارِ الضَّمِيرِ وَرَاحَةِ الْبَالِ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بالعلم **" بِمَرَاتِبِ الْقَدَرِ وَهِيَ أَرْبَعَةُ:**

الْأُولَى: العلم: فنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَكَيْفَ يَكُونُ بِعِلْمِ الأَزَلِيِّ الأَبَدِيِّ، فَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ عِلْمٌ بَعْدَ جَهْلٍ وَلَا يَلْحَقُهُ نِسْيَانٌ بَعْدَ عِلْمٍ."

لِأَنَّ صِفَةَ العِلْمِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَتَغَيَّرُ، صِفَةُ العِلْمِ أَزَلِيّة فَلَا تَتَجَدَّدُ وَلَا تَتَغَيَّرُ.

وَأَمَّا الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ مَرْتَبَةُ الْكِتَابة فَاللَّهُ عَلِم كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فِي الْحَيَاةِ شَيْءٌ ثُمَّ كتبَ ذَلِكَ الْعِلْمُ فَنُؤْمِنُ بِكِتَابَةِ اللَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ " نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ تَعَالَى {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج : ٧٠]"

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَتَبَ مَا عَلِمَ كَمَا هُوَ آتٍ فِي قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ كَمَا هُوَ آتٍ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَشَأْنِهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَبدْءِهِ وَمُنْتَهَاهُ وَحَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ.

وَهَذَا الْكِتَابُ {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت: ٤٢]

وَفِي ذَلِكَ **"يقَوْلُ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢)} [طه : ٥١-٥٢]"**

وَأَحْصَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِلْمَهُ فِي كِتَابِهِ **"فَقَالَ سُبْحَانَهُ {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} [يس: ١٢] "**

علمُ اللَّهِ بمَا هُوَ كَائِنٌ أَحْصَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي إِمَامٍ مُبِينٍ.

"يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ" أَوْ يَدْخُلُ فِي تِلْكَ الْكِتَابَةِ

"التَّقْدِيرُ الْأَزَلِيُّ" أَيِ الْكِتَابَةُ الْأَزَلِيّة **"قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"** فَكُلُّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْخَلْقَ،**{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} [التوبة: ٥١]** فَكُلُّ مَا أَصَابَكَ مِمَّا كَتَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَمِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ فِي أَمْرِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ الْإِيمَانُ **"بِكِتَابَةِ الْمِيثَاقِ"** يومَ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَخَرَجَتْ ذُرِّيَّةُ آدَمَ جَمِيعًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَقَالَ اللَّهُ {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف: ١٧٢] فَأَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ

الْمِيثَاقَ وَكَتَبَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ سَيَكُونُونَ عَلَيْهِ فواحد مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وآخر إِلَى النَّارِ.

وَفِي ذَلِكَ **"يقَوْلُ اللَّه رَبُّ الْعَالَمِينَ {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ} [الأعراف : ١٧٢]**

وَمِنَ التَّقْدِيرِ الَّتِي كَتَبَها اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ:

" التَّقْدِيرُ الْعُمَرِيُّ عِنْدَ تَخْلِيقِ النُّطْفَةِ في الرحم فَيُرسلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِي المُضغةِ الروحَ وَيُؤمرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ تُكْتَبُ رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وشقيٌ أو سعيدٌ."

هَذَا كُلُّهُ يُكْتَبُ عِنْدَ أَوَّلِ لَحْظَةٍ تُنْفَخُ فِيهَا الرُّوحُ، فَالْعُمُرُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، فَلَا تَقْلَقْ عَبْدَ اللَّهِ عَلَى رِزْقِكَ، وَلَا تَخْشَ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ دنو أَجْلِكَ وَاجْتَهِدْ عَبْدَ اللَّهِ فِي عَمَلِكَ وَسَعْيِكَ.

فَعَمَلُكَ وَسَعْيُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ نِهَايَتُكَ إِمَّا إِلَى الشَّقَاءِ وَالْجَحِيمِ، وَإِمَّا إِلَى السَّعَادَةِ وَالنَّعِيمِ.

"وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يُقَدِّرُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا يَحْدُثُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ قَالَ تَعَالَى {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان: ٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُكْتَبُ فِيهِمُ الْكِتَابُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ وَرِزْقٍ وَمَطَرٍ حَتَّى الْحُجَّاجِ يُقَالُ: يَحُجُّ فُلَانُ وَيَحُجُّ فُلَانُ "

فَهَذَا كُلُّهُ يُكْتَبُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر.

ومما يُكْتَبْ أَيْضًا **" التَّقْدِيرُ الْيَوْمِيُّ قال تعالى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩] "**

هَذِهِ الْكِتَابَاتُ تَكُونُ فِي أَيْدِي الْمَلَائِكَةِ، فَالْمَلَائِكَةُ تُحْصِي عَلَيْكَ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِأَجْلِ أَنْ يَكُونَ لَها دَور فِيهِ وَأَنْ يَكُونَ لَهَا عَمَلٌ بِصَدْده.

فَإِذَا مَا قضى اللَّهُ الْمَوْتَ، عَلِمَتْ مَلَائِكَةُ قَبْضِ الرُّوحِ بِأَمْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَبِأَمْرِ تِلْكَ السَّاعَةِ، فَيأتَوْنَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ وَفِي السَّاعَةِ الَّتِي قَدَّرَهُ اللَّهُ وَعَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي أَرَادَها اللَّهُ، وَهُوَ يَوْمٌ وَاحِدٌ تَخْرُجُ فِيهِ الرُّوحُ

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ لا يَقْلَقَ مِنْ أَمْرِ مَوْتِهِ وَلَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَقْلَقَ كَيْفَ سَيَمُوتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

"فَالتَّقْدِيرُ الْيَوْمِيُّ تَفْصِيلٌ مِنَ التَّقْدِيرِ الْحَوْلِيِّ وَالتَّقْدِيرُ الْحَوْلِيُّ تَفْصِيلٌ مِنَ التَّقْدِيرِ الْعُمَرِيِّ عِنْدَ تَخْلِيقِ النُطفة" هَذَا كُلُّهُ كَائِنٌ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

"وَالتَّقْدِيرُ الْعُمَرِيُّ تَفْصِيلًا مِنَ التَّقْدِيرِ الْعُمَرِيِّ الْأَوَّلِ يَوْمَ الْمِيثَاقِ، وَهُوَ تَفْصِيلٌ مِنَ التَّقْدِيرِ الْأَزْلِيِّ الَّذِي خَطَّهُ الْقَلَمُ فِي الْإِمَامِ الْمُبِينِ هو من علم الله عز وجل وكذلك منتهى المقادير في آخريتها إلى علم الله عز وجل فانتهت الأوائل إلى أوليته وانتهت الأواخر إلى آخريته {وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} [النجم: ٤٢]

وَالْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ:

الْإِيمَانُ **"بِالْمَشِيئَةِ فَنؤْمِنُ بِأَن اللَّه قَدْ شَاءَ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يَكُونُ شَيْءٌ إلا بِمَشِيئَتِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، قال تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢].**

فَكُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلَا مُغَيِّرَ لِأَمْرِهِ وَلَا مَانِعَ لِفَضْلِهِ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ وَحْدَهُ، وَفِي ذَلِكَ **"يَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ:**

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة : ٢٥٣].

وهؤلاء الذين اقتتلوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا اقتتَلَ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ضلّوا، لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ}**

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا، **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} [هود: ١١٨].**

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يُكْتَبْ لَهُ الْهِدَايَةُ، لَوْ شَاءَ اللَّهُ لآتى كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا، **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة : ١٣]**

"وَقَالَ تَعَالَى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر : ٤٤]

فَكُلُّ مَا فَاتَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُعْجِزَ رَبَّكَ أَنْ يَأْتِيَكَ إِيَّاهُ، وَلَكِنْ شَاءَ فَوَاتَهُ فَفَاتَ. وَكُلَّ مَنْ ضَلَّ شَاءَ اللَّهُ ضَلَالَهُ عَدْلا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَاهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

"الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ:

مَرْتَبَةُ الْخَلْقِ: فَهُوَ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ عَامِلٍ وَعَمَلِهِ وَكُلِّ مُتَحَرِّكٍ وَحَرَكَتِهِ وَكُلِّ سَاكِنٍ وَسُكُونِهِ قَالَ اللَّهُ {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}

[الصافات: ٩٦] وَقَالَ تَعَالَى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر : ٦٢]"

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُمَكِّنُ الطَّائِعَ مِنَ الطَّاعَةِ، كَمَا يُمَكِّنُ الْعَاصِيَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَيَأْمُرُ الْجَوارِحَ أَنْ تُطِيعَ الطَّائِعَ فِي طَاعَتِهِ، وَيَأْمُرُ الْجَوارِحَ أَنْ تُطِيعَ الْعَاصِيَ فِي مَعْصِيَتِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ شُهُودٌ عَلَيْهِ، تَأْتِي الْجَوارِحُ شَاهِدَةً عَلَى الطَّاعَةِ وَالطَّائِعِينَ وَتَأْتِي الْجَوارِحُ شَاهِدَةً عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْعَاصِين لِئلَا يَكُونَ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ، لِئلَا يَقُولَ أَحَدٌ يَا رَبِّ لِمَ تُمَكِّنُنِي مِمَّا أُرِيدُ لَفَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا

فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْجَوارِحِ انطقِي فَتَنْطِقُ كُلُّ جَارِحَةٍ أَنَّهَا كَانَتْ مهيأة لفعل الطَّاعات ومهيأة لفعل الْمَعَاصِي، وَالطَّائِعُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَ طَاعَةَ اللَّهِ وَالْعَاصِي هُوَ الَّذِي اخْتَارَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ.

وَأَمَرَ اللَّهُ الجَوارِح أَنْ تُطِيعَ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى وَفْقِ تَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ فَسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَسُبْحَانَ رَبِّيَ الْحَكِيمِ قَالَ تَعَالَى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر: ٦٢].

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ وَكِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، فَلَا يَخْرُجُ عَنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ شَيْءٌ، لَا يَخْرُجُ طَاعَةُ الطَّائِعِينَ، وَلَا مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ مُخْتَارِينَ فَمَنِ اخْتَارَ الطَّاعَةَ وُفِّقَ إِلَيْهَا وأُعينَ عَلَيْهَا وَمَنِ اخْتَارَ الْمَعْصِيَةَ تُرك لها وَأُمِرَتِ الْأَعْضَاءُ بِمُزَاوَلَتِهَا.

"ونؤمن مع ذَلِكَ أَنَّ لِلْعِبَادِ قُدْرَةً عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ مَشِيئَةٌ وَإِرَادَةٌ وَاللَّهُ تَعَالَى هوَ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ مَشِيئَتِهِمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ والأقوال وَالْأَفْعَالُ الصَّادِرَةُ مِنْهُمْ تضافٌ إِلَيْهِمْ حَقِيقَةً وهُمْ لَا يَقْدِرُونَ إِلَّا عَلَى مَا أَقْدَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَلَا يَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى {إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن

شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠)} [الانسان : ٢٩-٣٠]

وَقَالَ تَعَالَى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦].

وَقَالَ تَعَالَى {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف : ٧٢] أَيْ بِسَبَبِ الْعَمَلِ.

وَقَالَ تَعَالَى {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [السجدة : ١٤]

وَقَالَ تَعَالَى {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧-٨]

فَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ " لَا يَمْنَعُ مِنَ الْعَمَلِ كَمَا أَنَّهُ لَا يُوجِبُ الِاتِّكَالَ وَلِذَا لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِسَبْقِ الْمَقَادِيرِ وَجَرَيانهَا وَجُفُوفِ الْقَلَمِ بِهَا، فَقِيلَ لَهُ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ "لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ" ثُمَّ قَرَأَ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)} [الليل : ٥-١٠]

فَفكّ النبيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِشْكَالَ الَّذِي أَشْكَلَ عَلَيْهِم، وَأَزَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَارِضَ الَّتِي عَرَضَ لَدَيْهِم، وَهُوَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الَّتِي جَاءَتْ فِي نُفُوذِ الْقَدر وَرَدِّهَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ أَنَّ ذَلِكَ دَاعٍ لأن يَتْرُكَ الْمَرْءُ الْعَمَلَ وَيَتَّكِلَ عَلَى الْكِتَابِ الْمَكْتُوبِ، فبَينَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ

ذَلِكَ لَيْسَ بِالصَّوَابِ وَإِنَّمَا هُوَ الْخَطَأُ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ النَّاسُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحَقِّقُوا مَا أُمِرُوا بِهِ وَأَنْ يَجْتَهِدُوا فِي تَرْكِ مَا نُهُوا عَنْهُ، وَأَنْ يَجْتَهِدُوا فِي الْإِتْيَانِ لِمَا رُغّبوا فِيهِ وَأَنْ يَبْتَعِدُوا عَمَّا رُهِّبوا عَنْهُ، فَإِذَا مَالَ هَؤُلَاءِ لِذَلِكَ وَأَرَادُوهُ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى} أَيْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَظَّهُ وَحَقَّهُ

{وَاتَّقَى} فِي ذَلِكَ الَّذِي يُعْطِيهِ أَعْطَى مِنْ مَالِهِ وَمِنْ وَقْتِهِ وَمِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ جُهْدِهِ وَمِنْ عِلْمِهِ أَعْطَى ذَلِكَ وَأَرَادَ بِذَلِكَ اللَّهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} أَيْ عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ جَنَّةً فَهُوَ عامِلٌ من أجل الْوُصُولِ إِلَيْهَا، فَمَنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ التَّيْسِيرِ وَالتَّبْشِيرِ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}

{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ} بِمَالِهِ وَبَخِلَ بِوَقْتِهِ وَبَخِلَ بِنَفْسِهِ وَعِلْمِهِ وَمَنْصِبِهِ وَجَاهِهِ واستأثر بِذَلِكَ كُلِّهِ لِنَفْسِهِ، {وَاسْتَغْنَى} أَيْ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ

بما رأى أَنَّهُ بِهِ غَنِيٌّ وَاسْتَغْنَى عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ اكْتِفَاءً بِالدُّنْيَا، وَاسْتَغْنَى عَنْ مُتَابَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ اكْتِفَاءً بِالْأَعْرَافِ وَالْعقوْلِ،

{وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} يَعْنِي لَمْ يَعْتَقِدْ بِالْجَنَّةِ وَلَا بِالنَّارِ وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِنَّمَا هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْخَيَالِ أَوْ كَانَ إِيمَانُهُ بِذَلِكَ ضَعِيفًا فهذا ييسر للعسرى لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَتْرُكُهُ وَنَفْسَهُ، وَيَتْرُكُهُ وَمَالَهُ، وَيَتْرُكُهُ وَعِلْمَهُ فَيُضَيِّعُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ.

فائدة ذلك كُلُّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)} [طه : ١٢٤-١٢٦]

" فَالْمَقَادِيرُ لَهَا أَسْبَابٌ تُوَصِّلُ إِلَيْها فَكَمَا أَنَّ النِّكَاحَ سَبَبُ الْوَلَدِ وَالْحَرْثَ سَبَبُ وُجُودِ الزَّرْعِ، فَكَذَلِكَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ سَبَبُ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَالْعَمَلُ السَّيِّئُ سَبَبُ دُخُولِ النَّارِ."

فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا خَوَّلَهُ بِهِ وَأَمَرَهُ بِهِ، وَفِيمَا خَوَّلَهُ فِيهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِيهِ، عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَسْعَى جَاهِدًا أَنْ يُحَقِّقَ الْإِيمَانَ الْحَقَّ. الْإِيمَانَ الْحَقَّ الَّذِي بِهِ يَصِلُ إلى ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

.....

فَإِنَّ قَضِيَّةَ الْإِيمَانِ مِنَ الْقَضَايَا الَّتِي تَنَازَعَ فِيهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَصَابَ الْحَقَّ فِيهَا فَهُدِيَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَانَبَ الْحَقَّ فِيهَا فَصَارَ مِنْ أَصْحَابِ الْوَعِيدِ بِالنَّارِ وَالْجَحِيمِ.

لِذَا عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُحَقِّقَ وَيُؤَصِّلَ قَضِيَّةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُصِيبَ مُتَابَعَةَ أَهْلِ الْحَقِّ وَأَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.

"فمِنْ جُمْلَةِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْإِيمَانِ أَنَّ الْإِيمَانَ:

قَوْلٌ بِاللِّسَانِ بِأَنْ يَنْطِقَ بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ واعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ بِأَنْ يَجْزِمَ جَزْمًا قَاطِعًا بِصِدْقِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ.

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ، قَالَ: "كَانَ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَمَنْ أَدْرَكْنَاهُمْ يَقُولُونَ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ وَلَا يُجْزِئُ وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَّا بِالْآخَرِ."

فَالْإِيمَانُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَتَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ.

الْإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ، وَقَدْ جَاءَتِ الْأَدِلَّةُ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِ رَبِّنَا وَفِي سُنَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

" قَالَ تَعَالَى:{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران : ١٧٣]

وقال {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال : ٢]

وقال تعالى{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة : ١٢٤]

وقال تعالى {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب : ٢٢].

وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح : ٤]

{وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} [المدثر: ٣١].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَظَ النِّسَاءَ وَقَالَ لَهُنَّ "مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ بِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ"

"فَهُذَا دَلِيلٌ عَلَى نُقْصَانِ الْإِيمَانِ" لِأَنَّ الدِّينَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانَ مِنَ الدِّينِ.

"وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا" رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة

فَالْإِيمَانُ يَبْدَأُ قَلِيلًا ثُمَّ بِالْأَعْمَالِ يَزِيدُ كَثِيرًا كَثِيرًا يَبْدَأُ كَالذَّرَّةِ وَيَنْتَهِي كَالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ

"وَإِذَا كَانَ مَنِ اتَّصَفَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَهُوَ أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، فَغَيْرُهُ مِمَّنْ سَاءَ خُلُقُهُ أَنْقَصُ النَّاسِ إِيمَانًا.

وَلَيْسَ الْإِيمَانُ قَوْلًا وَعَمَلًا دُونَ اعْتِقَادٍ، لِأَنَّ هَذَا إيمان الْمُنَافِقِيّن."

وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَتَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ.

وَمَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ كَلِمَاتٍ تَتَرَدَّدُ وَأَعْمَالًا تُتَصَوَّرُ، مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ كَلِمَاتٍ تَتَرَدَّدُ وَأَعْمَالًا تتشكَّل و تُصَوَّرُ، وَلَا يَنْزِلُ مِنْ

ذَلِكَ وَلَا يَسْتَقِرُّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فِي الْقَلْبِ، فَهُوَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَهُوَ مُخَادِعٌ، وَاللَّهُ خَادِعُهُ وَهُوَ مَاكِرٌ، وَاللَّهُ يَمْكُرُ بِهِ، **"قَالَ تَعَالَى:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة : ٨]"**

هَذَا الَّذِي يَقُولُ قَوْلَهُ وَلَا يُحَقِّقُهُ، هَذَا الْقَوْلُ إِيمَانًا رَاسِخًا فِي الْقَلْبِ وَعَمَلًا صَالِحًا عَلَى الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ، فَهَذَا لَا يُتَابَعُ فِي قَوْلِهِ وَلَا يُعْتَدُّ بِفِعْلِهِ {وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٨].

"وَلَيْسَ هُوَ مُجَرَّدَ الْمَعْرِفَةِ،" يَعْنِي لَا يَقُولُ الْقَائِلُ أَنَا أَعْلَمُ بِالْإِيمَانِ وَحَقِيقَتِهِ وَأَنَا أُدْرِكُ الْإِيمَانَ وَمَرَاتِبَهُ، فَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ إِنْ لَمْ تَتَحَوَّلْ إِلَى عَمَلٍ، فَهِيَ لَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا شَيْئًا، لِأَنَّ أَهْلَ النِّفَاقِ كَانُوا يَعْرِفُونَ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُونُوا بِهَذَا الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ يَعْمَلُونَ.

"فَلَيْسَ الْإِيمَانُ هُوَ مُجَرَّدَ الْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّ هَذَا إِيمَانُ الْكَافِرِينَ وَالْجَاحِدِينَ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ:{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: ١٤]. وَقَالَ تَعَالَى:{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام: ٣٣]. وَقَالَ تَعَالَى:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [البقرة: ١٤٦]. وَقَالَ تَعَالَى:{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} [البقرة: ٨٩]. وَقَالَ تَعَالَى:{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} [العنكبوت : ٣٨].

فَهَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ فَاجِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مُنَافِقًا، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ، كَانُوا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَلَكِنَّهُمْ جَحَدُوا ذَلِكَ وَعَانَدُوهُ، فَلَا يُقْبَلُ الْإِيمَانُ دُونَ عَمَلٍ، **"وَلَيْسَ الْإِيمَانُ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا دُونَ عَمَلٍ، لِأَنَّ اللَّهَ سَمَّى الْأَعْمَالَ إِيمَانًا"**

فَالْأَعْمَالُ جُزْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ، بَلِ الْأَعْمَالُ سَبَبٌ فِي زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، بَلِ الْأَعْمَالُ سَبَبٌ فِي إِظْهَارِ حَقِيقَةِ الْبَواطِنِ وَالْقُلُوبِ. **"قَالَ تَعَالَى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة: ١٤٣]،"** وَالْمَقْصُودُ بِالْإِيمَانِ هُنَا هِيَ الصَّلَاةُ، مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ **"صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ."**

فَالْأَعْمَال، الْأَعْمَال عِبَادَ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَها، الْأَعْمَالَ، الْأَعْمَالَ عِبَادَ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ تُحْرَمُوها، الْأَعْمَالَ، الْأَعْمَالَ عِبَادَ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوْا إِتْيَانَها.

فَقَدْ كُنَّا فِي عَافِيَةٍ مِنْ أَمْرِنَا، كَانَتِ الْمَسَاجِدُ مَفْتُوحَةً وَالِاعْتِكَافَاتُ قَائِمَةً، وَالصَّلَاةُ فِي الْخَلَاءِ يَوْمَ العيد ظَاهِرَةٌ بَادِيَة، وَبَيْتُ الْحَرَامِ مَفْتُوحٌ لَيْلًا وَنَهَارًا.

فَإِذَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ يُعَاقِبُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ بِأَنْ يُحْرَمُوا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَأُغْلِقَتْ مَسَاجِدُ وَمُنِعَتِ اعْتِكَافَاتُهم وَلَمْ تَقُمْ عَلَى الْخَلَاءِ صَلَاتُهُمْ.

وَكُلُّ ذَلِكَ عُقُوبَةٌ وَحِرْمَانٌ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُعَظِّمُوا ذَلِكَ حَالَ قِيَامِهِ، فَحَالَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يشْتَهوْن.

فَالْأَعْمَالُ مِنَ الْإِيمَانِ وَدَلِيلُ ذَلِكَ "مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:**"لِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْانمِ الْخُمُسَ".**

فَهَذَا مِنَ الْإِيمَانِ مَعَ أَنَّهَا أَعْمَالٌ، فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ عَمَلٌ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ عَمَلٌ، وَالْمَغْنَمُ عَمَلٌ، وهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْإِيمَانِ.

"وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ

شُعْبَةً، وَفِي رِوَايَةٍ "بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً" "فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ".

فَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِيمَانَ أَعْمَالًا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَشُعَبًا لَمْ يَذْكُرْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا ذَكَرَ أَعْلَاهَا وَأَدْنَاهَا، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

"وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاةَ. فَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُطْلَقًا فَقَدْ كَفَرَ، أَجْمَعَ عَلَى ذَلِكَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."

"الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ"، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ تَرْكَ الصَّلَاةِ بَرِيدُ الْكُفْرِ، فَعَلَى

الْمَرْءِ أَلَّا يَتَوَرَّطَ فِي ذَلِكَ وَأَلَّا يَكُونَ بِمَقْرُبَةٍ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَقَعَ فِيمَا حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ: " لَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

"وَالتَّكْفِيرُ حَقٌّ لِلَّهِ، فَلَا يُكَفَّرُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ كَفَّرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَكْفِيرِهِ."

التَّكْفِيرُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الهَين الْيَسِيرِ، إِنه عَمَلٌ يُوَرّطُ الْمَرْءُ فِيهِ بِتَجَرُّئِهِ عَلَيْهِ فِي نَارِ الْجَحِيمِ، فَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِا، أَيْ صَارَ مُسْتَحِقًّا لِلْعُقُوبَةِ عَلَيْهِا وَمُسْتَحِقًّا لِلْوَصْفِ بِهِ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَفَّرَ أَخَاهُ وَرَّطَ نَفْسَهُ فِيمَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ.

"فَمَنْ كَفَّرَ أَحَدًا بِغَيْرِ الْكُفْرِ الَّذِي قَامَ الْبُرْهَانُ الْجَلِيُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصِّ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ أَوِ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ أَوِ الْإِجْمَاعِ، فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لتغليظِ وَالْعُقُوبَةِ وَالتَّعْذِيرِ، "إِذْ مَن رمى مُؤْمِنٌ بِكَفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَا نُكَفِّرُ إِلَّا مَنْ كَفَّرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ فَهَذَا أَمْرٌ يُتْرَكُ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَصْحَابِ الْإِفْتَاءِ إِلَى مَنْ يُرَدُّ لَهُمُ الْأَمْرُ.

وَلْيَحْذَرِ الْمَرْءُ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي الْكُفْرِ **"بِقَوْلٍ كُفْرِيٍّ لَيْسَ فِيهِ خِلَافٌ مُعْتَبَرٌ وَكَذَلِكَ بِفِعْلٍ"** كُفْرِيٍّ **"وَكَذَلِكَ بِاعْتِقَادٍ"** كُفْرِيٍّ كَأَنْ يَسُبَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْ يَسُبَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ يُنْكِرَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ أَوْ يَسْجُدَ لِقَبْرٍ أَوْ يَذْبَحَ لِقَبْرٍ أَوْ يَلجأ إِلَيْهِ، أَوْ يَعْتَقِدَ أَنَّ أَحَدًا يَضُرُّهُ أَوْ يَنْفَعُهُ مِنْ أُولَئِكَ الْمَوْتَى مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَابُدَّ أَنْ **"نُفَرِّقَ بَيْنَ التَّكْفِيرِ الْعَامِّ وَتَكْفِيرِ الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ فَالتَّكْفِيرُ الْعَامُّ كَوَعِيدِ الْعَامِّ يَجِبُ الْقَوْلُ بِإِطْلَاقِهِ وَعُمُومِهِ كَقَوْلِ الْأَئِمَّةِ مَنْ قَالَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ وَكَقَوْلِ ابْنِ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ "مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ قَدِ اسْتَوَى فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَكَانَ مَالُهُ فَيْئًا"** أَيْ مَالُهُ غَنِيمَةً يَغْنَمُهَا الْمُسْلِمُونَ.

"وَتَكْفِيرُ الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ" يَعْنِي أَنْ نَقُولَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ كَافِرٌ مِنَ الْكُفَّارِ **"لَابُدَّ فِيهِ مِنْ تَوَفُّرِ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ فَلَا يلْزمُ مِنَ التَّكْفِيرِ الْمُطْلَقِ الْعَامِّ تَكْفِيرُ الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ حَتَّى تَتَوَفَّرَ فِيهِ شُرُوطُ التَّكْفِيرِ وَتَنْتَفِيَ عَنْهُ مَوَانِعُهُ."**

فَمَنْ وَقَعَ فِي عَمَلٍ كُفْرِيٍّ فَهُوَ يَكُونُ كَافِرًا عَلَى الْعُمُومِ وَلَكِنْ لَا نُخَصِّصُهُ فَنَقُولُ هَذَا كَافِرٌ إِلَّا بَعْدَ تَوَفُّرِ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ لِأَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ تَكُونُ قَدْ دَفَعَتْه إِلَى ذَلِكَ هِيَ مِنْ مَوَانِعِ التَّكْفِيرِ،

أَوْ يَكُونُ قَدْ وَقَعَ فِي أَمْرٍ لَيْسَ فِيهِ عَلَى عِلْمٍ وَيَقِينٍ كَأَنْ يَكُونَ جَاهِلًا، أَوْ كَأَنْ يَكُونَ نَاسِيًا أَوْ أَنْ يَكُونَ مُضْطَرًّا إِلَى ذَلِكَ.

فَهَذَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا ظَلَّ كُفَّارُ مَكَّةَ يُعَذِّبُونَهُ بِمَا يُعَذِّبُونَهُ بِهِ، فَإِذَا بِهِ يضْطَرُّ إِلَى أَنْ يَقُولَ الْكُفْرَ، يَسُبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَسُبَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا قَصَّ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ" قَالَ "مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ" فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنْ عَادُوا فَعُدْ" يَعْنِي إِنْ عَادُوا إِلَى إِجْبَارِكَ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ فَعُدْ وَقَاوِمْ فِيهِ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ } [النحل: ١٠٦].

وَمِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ **"الْمُعْتَقَدُ الصَّحِيحُ فِي حُكْمِ مَنْ وَقَعَ فِي الْكَبَائِرِ"** لِأَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ فَصَارُوا طَوائف فَطَائِفَةٌ تَحْكُمُ بِكُفْرِ مَنْ وَقَعَ فِي الْكَبِيرَةِ وَطَائِفَةٌ لَا تَحْكُمُ

بِكُفْرِهِ وَلَكِنْ تَحْكُمُ بِأَنَّهُ صَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَطَائِفَةٌ تَتَهَاوَنُ فِي الْأَمْرِ فَتَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ.

وَالْحَقُّ فِي ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمَرْءُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

" ومن جُمْلَةُ اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ جَمِيعَ الذُّنُوبِ سِوَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ لَا تُخْرِجُ الْمُسْلِمَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ" إِذَا لَمْ يَسْتَحِلَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.فَالْكَبَائِرُ لَا تُخْرِجُ الْمُسْلِمَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ **"سَوَاءٌ فَعَلَهَا مُسْتَحِلًّا أَوْ اعْتَقَدَ حِلَّهَا دُونَ أَنْ يَفْعَلَهَا."** يَعْنِي الْكَبَائِرُ تُخْرِجُ الْمُسْلِمَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ **"إِلَّا إِنِ اسْتَحَلَّهَا"** وَاسْتِحْلَالُهَا **"سَوَاءٌ فعلهَا مُسْتَحِلًّا أَوْ اعْتَقَدَ حِلَّهَا دُونَ أَنْ يَفْعَلَهَا** لِأَنَّهُ عِنْدَئِذٍ يَكُونُ مُكَذِّبًا بِالْكِتَابِ وَمُكَذِّبًا بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ كُفْرٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.

وَكُلُّ مَا دُونَ الشِّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ لَا يُخَلَّدُ صَاحِبُهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ كَمَا قَالَ تَعَالَى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨].

(فَنَصَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ صَاحِبَ الذُّنُوبِ إِلَى مَشِيئَةِ) عَلَّامِ الْغُيُوبِ، **" إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَفَا عَنْهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ النَّارَ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ وَمَعَاصِيهِ لِيُطَهِّرَهُ بِالنَّارِ ثُمَّ يُخْرِجُهُ مِنْهَا بِتَوْحِيدِهِ فَيدخلُ الْجَنَّةِ"** مَعَ الْمُوَحِّدِينَ.

"وَصَاحِبُ الْكَبَائِرِ نَاقِصُ الْإِيمَانِ وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بَعْضَ الْكَبَائِرِ كَالْقَتْلِ وَالْبَغْيِ وَأَثْبَتَ الْإِيمَانَ لِأَصْحَابِهَا فَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِإِيمَانِهِمْ فَاسِقُونَ بِمَعْصِيَتِهِمْ.

قَالَ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} [البقرة : ١٧٨]

فَأَثْبَتَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْإِيمَانَ لِلْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ فَعَلِمْنَا أَنَّهُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَثْبَتَ لَهُمَا أُخُوَّةَ الْإِيمَانِ."

وَالْمُسْلِمُ قَدْ يَكُونُ مُسْلِمًا حَقًّا وَيَكُونُ مُسْلِمًا فَاسِقًا **"وَلَا مُنَافَاةَ فِي إِطْلَاقِ الْفِسْقِ عَلَى الْعَمَلِ أَوْ عَامِلِهِ وَتَسْمِيَةِ الْعَامِلِ مُسْلِمًا وَجَرَيَانِ أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ."** وَهَذَا هُوَ الصَّحَابِيُّ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ **"رَوَى حَدِيثَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ حَيْثُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ حِمَارٍ شَرِبَ الْخَمْرَ فَجِيءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَعَنَهُ اللَّهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤتىٰ به. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ".**

فَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمُجَرَّدِ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ بَلْ قَدْ أَثْبَتَ لَهُ الْإِيمَانَ مَعَ وُقُوعِه فِي هَذِهِ الْكَبِيرَةِ.

الْكَبَائِرُ تَكُونُ سَبَبًا فِي نَقْصِ الْإِيمَانِ وَلَا تَكُونُ سَبَبًا فِي زَوَالِهِ وانمحائه، **"وبيان ذَلِكَ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ وَالنِّفَاقِ جَاءَتْ فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ عَلَى قِسْمَيْنِ:**

كُفْرٌ أَكْبَرُ وَشِرْكٌ أَكْبَرُ وَظُلْمٌ أَكْبَرُ وفُسُقٌ أَكْبَرُ وَنِفَاقٌ أَكْبَرُ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ لِمُنَافَاتِهِ أَصْلَ الدِّينِ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَشِرْكٌ وَكُفْرٌ وَظُلْمٌ وَفُسُقٌ وَنِفَاقٌ أَصْغَرُ يُنَافِي كَمَالَ الْإِيمَانِ وَلَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنْهُ.

وَهَذَا تَقْسِيمٌ لِلسَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَدْ أَثْبَتَ حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: "أن هناك كُفْرًا دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمًا دُونَ ظُلْمٍ، وَفُسُوقًا دُونَ فُسُوقٍ، وَنِفَاقًا دُونَ نِفَاقٍ."

{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة : ٤٤]

{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة : ٤٥]

{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة : ٤٧]

سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما عَنْ هَذِهِ الْآياتِ فَقَالَ "لَيْسَ هُوَ الْكُفْرَ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ وَفُسُوقٌ دُونَ فُسُوقٍ."

" فَاللَّهُ تَعَالَى سَمَّى مَنْ دَعَا غَيْرَهُ كَافِرًا وَمشرِكًا وَظالِمًا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:{وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون : ١١٧]

وَقَالَ تَعَالَى {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا} [الجن : ٢٠]

وَقَالَ تَعَالَى {وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ} [يونس : هذا ١٠٦]

قَالَ تَعَالَى {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠].فَهَذَا فِي الْكُفْرِ الْأَكْبَرِ وَالشِّرْكِ الْأَكْبَرِ وَالظُّلْمِ الْأَكْبَرِ وَالْفُسُقِ الْأَكْبَرِ الَّذِي لَا يَجْتَمِعُ مَعَهُ إِيمَانٌ.

وَأَمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة : ٤٤]

وقال تعالى {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة : ٤٥]

وقال تعالى {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة : ٤٧]

وَقَالَ تَعَالَى {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء : ١٠]

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ".

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ".

فَهَذَا فِي الْكُفْرِ الْأَصْغَرِ وَالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ وَالظُّلْمِ الْأَصْغَرِ وَالْفسقِ الْأَصْغَرِ وَهَذَا يَجْتَمِعُ مَعَهُمْ إِيمَانٌ كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَهُوَ يُنْقِصُ الْإِيمَانَ وَيُنَافِي كَمَالَ الْإِيمَانِ."

إِنَّ الْعِلْمَ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَمَوَاضِعِهِ وَأُصُولِهِ وَمَرَاتِبِهِ، هَذَا يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ قَائما عَلَيْهِ وَمُلْتَزِمًا بِهِ سَاعيًا إِلَى تَحْصِيلِهِ، مبتعدا عَنْ نَوَاقِضِهِ مُجْتَنِبًا بِمَا يُزِيلُهُ بِكُلِّيَّتِهِ.

وَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا أَلَمَّ بِشَيْءٍ هَرَعَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَذَا يَذْكُرُ لِلنَّبِيِّ مَا كَانَ مِنْ كَلِمَةٍ قَدْ قَالَهَا، وَهَذَا يَذْكُرُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ لَهُ فِعْلَةً قَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا، وَهَذَا يَذْكُرُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَنْبًا قَدِ اقْتَرَفَهُ أَوْ كَبِيرَةً قَدْ وَاقَعَهَا، يَأْتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يُطَهَّرَ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ، يُرِيدُ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَى جُرْم جِنَايته لِأَنَّ عِقَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ عِقَابِ الْآخِرَةِ.

فَالَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ قُوَّةُ إِيمَانِهِ، الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ مُعَايَنَتُهُمْ لِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمْ، لقَدْ كَانَ الْأَمْرُ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُ بَادِيًا أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ كَأَنَّهُ مَعْرُوضًا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَعْمَلُ الْعَمَلَ ثُمَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ، يَتَكَلَّمُ الْكَلِمَةَ ثُمَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ، بل يَأْكُلُ الْأُكْلَةَ ثُمَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ.

فهَذَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ جَاع يَوْمًا فَأتى لَهُ غُلَامٌ بِطَعَامٍ، فَأُتِيَ لَهُ وَلَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ أَنْ يَأْكُلَ بِمَا سُؤَالٍ، وَلَكِنَّ الْجُوعَ وَمُلْهِبَتَه.

فَما أن أَكَلَ بَعْضَ اللُّقيمَاتِ، قَالَ: هَذَا مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذَا الطَّعَامِ؟ فَقَالَ: تَكَهَّنْتُ كِهَانَةً فِي زَمَانٍ مَضَى فَلم أَخُذْ عَلَيْهَا أَجْرًا إِلَّا الْآنَ."

فَوَضَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدَهُ فِي فَمِهِ ثُمَّ أَخَذَ يَتَقَيَّأُ ذَلِكَ الطَّعَامَ الَّذِي دَخَلَ جَوْفَهُ وَلَا زَالَ يُخْرِجُهُ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالُوا لَهُ: رِفقا بِنَفْسِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. فَقَالَ: "وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تخْرُجْ إلا بخروج نَفْس أَبِي بَكْرٍ لَفَعَلْتُ."

فَهَذَا حِسَابٌ عَلَى أَكْلِهِ، وَآخَرُ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى كَلِمَةٍ قَالَهَا، بَلْ غَيْرُهُ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى إِشَارَةٍ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهِا، حِينَمَا شَاوَرَ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ بَعْضَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَعْزِمُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَشَارَ لَهُمْ بِيَدِهِ يَعْنِي إِنَّهُ الذَّبْحُ، فَلَمَّا أَفَاقَ وَعَلِمَ أَنَّهُ بِذَلِكَ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَعَى إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَيَّدَ نَفْسَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَفُكُّهَا أَحَدٌ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ أَوْ أُلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا أَنَا فِيهِ."

وَآخَرُ يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، فَيَأْتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،" فَيَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بِكَ؟ فَيَقُولُ: وَقَعْتُ بِامْرَأَتِي فِي نَهَارِ رَمَضَانَ.

وَهَذَا مَاعِزٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَمَا أَخَذَتْهُ شَهْوَتُهُ وَأَلَجأتْهُ إِلَى فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ، والإلمام بِمَا حَرَّمَ اللَّهُ. فما إنْ أَفَاقَ، ذهَبُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ: "طَهِّرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ".

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَعَلَّكَ فَعَلْتَ كَذَا أَوْ فَعَلْتَ كَذَا أَوْ فَعَلْتَ كَذَا" يُخَفِّفُ عَنْهُ الْأَمْرَ.

فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتُ مِنَ الْمَرْأَةِ، مَا يَأْتِي الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِهِ، طَهِّرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَيُعْرِضُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، ثُمَّ يَأْتِيه فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَيُعْرِضُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، ثُمَّ يَأْتِيه فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَيُعْرِضُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، ثُمَّ يَأْتِيه فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَيَقُولُ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُ الرَّجْمُ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ يَا مَاعِزُ؟"

قَالَ: أَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَهَكَذَا الْمَرْأَةُ الْغَامِدِيَّةُ تَأْتِي وَقَدْ حَمَلَتْ مِنْ سِفَاحٍ، تَأْتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُقِيمَ عَلَيْهَا الْحَدَّ، فَيرَدُّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَضَعَ، فَتَأْتِيهِ بَعْدَ أن وضعت، فَيَرُدُّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَفْطِمَ ولَدَهَا، فَيظَلَّ أَثَرُ الذَّنْبِ يَفْعَلُ فِيهَا فِعْله وَيَأْزُّ فِيهَا أَزَّه. حتى تأتِيَ بَعْدَ عَامَيْنِ وَقَدْ فُطِمَ الْوَلَدُ وَاعْتَمَدَ عَلَى نَفْسِهِ، فَتَأْتِي إِلَيْهِ تَقُولُ: طهرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَيُقَامُ عَلَيْهَا الْحَدُّ.

فَيَقُولُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: لَعَنَكِ اللَّهُ مِنْ امْرَأَةٍ.

فَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَلْعَنْهَا يَا خَالِدُ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ وُزِّعَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهم".

مَا الَّذِي جَعَلَ الصَّحَابَةَ عَلَى هَذَا الْحَالِ؟ إِنَّهُ الْإِيمَانُ الَّذِي حَقَّقُوهُ، إِنَّهُ الْإِيمَانُ الَّذِي بَاشَرُوه، إِنَّهُ الْإِيمَانُ الَّذِي حَوَّلُوهُ إِلَى عَمَلٍ، فَزَادَ إِيمَانُهُمْ حَتَّى صَارَ كَالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ، حَتَّى صَارَ كَالْحَقَائِقِ الْوَاضِحَاتِ، كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ أَوْ كَالْقَمَرِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

عَلَيْنَا أَنْ نَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِ إِيمَانِنَا، عَلَيْنَا أَنْ نُحَوِّلَ ذَلِكَ الْإِيمَانَ أَعْمَالًا فِي وَاقِعِنَا، عَلَيْنَا أَنْ نَثْبُتَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّنَا.

عَلَيْنَا أَنْ نُنَافِسَ وَنُسَارِعَ فِيمَا يُوَصِّلُنَا إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتٍ حِينَ نَلْقَى رَبَّنَا، حِينَ تُعْرَضُ عَلَيْنَا أَعْمَالُنَا، حِينَ يُؤْمَرُ بِنَا عَلَى الصِّرَاطِ فَنَمُرُّ مُرُورَ الْمَارِّينَ كَالْبَرْقِ، لَا كَمُرُورِ الزَّاحِفِينَ عَلَى الصِّرَاطِ.

فَاللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا، وَيَقِينًا صَادِقًا، وَإِيمَانًا عَامِلًا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْعَامِلِينَ صِدْقًا، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِكَ، الدَّاعِينَ إِلَى دِينِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ، وَأَقِمْنَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَلْقَى وَجْهَكَ الْكَرِيمَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

.....

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ حُبَّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينٌ يُدَانُ بِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقُرْبَةٌ يَتَقَرَّبُ بِهَا الْوُصُولُ إِلَى دَرَجَاتِ الْجِنَانِ وَالْيَقِينِ.

وَلِمَا لَا وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم جندُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ،وهُم مَنِ اجْتَبَاهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَهِيَ مُهِمَّةٌ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهَا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ قَدْرًا عَظِيمًا وَأَثَرًا مُبِينًا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:{هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال : ٦٢]

فَأَيَّدَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ، وَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ، وَهُمْ خَيْرٌ مِنْ أَصْحَابِ مُوسَى الْكَلِيمِ، وَهُمْ خَيْرٌ مِمَّنْ

كَانُوا مَعَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّفِينَةِ حِينَ أَنْجَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ، فَحُبُّ الصَّحَابَةِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا تَصِحُّ عَقِيدَةُ سُنِّي يَدَّعِي السُّنَّةَ حَتَّى يَصِحَّ مُعْتَقَدُهُ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

" فَمِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: مَحَبَّةُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُوَالَاتُهُمْ وَالتَّرَضِّي عَنْهُمْ وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ."

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ **"فَقَالَ سُبْحَانَهُ:{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة : ١٠٠]**

"فرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ السَّابِقِينَ مِنْ غَيْرِ اشْتِرَاطِ إِحْسَانٍ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُحْسِنِينَ ولَمْ يَرْضَ عَنِ التَّابِعِينَ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ."

فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا مِنَ السَّابِقِينَ الْمُحْسِنِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ لا يَصلُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ لهَؤُلَاءِ، وَأَنْ يَكُونَ قَائِمًا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ سَائِرًا عَلَى الدَّرْبِ الَّذِي سَارُوا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

"وَقَالَ تَعَالَى:{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح: ١٨].

وَمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَسْخَطْ عَلَيْهِ أَبَدًا."

فَمَنْ رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ أَنْ يَسْخَطَ عَلَيْهِ، أو أَنْ يَجِدَ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ شَيْئًا.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَفِي **"الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ".**

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَا يَدْخُلُ النَّارَ " أي لِأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَدُخُولهمُ الْجَنَّةَ نَاتِجٌ عَنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِم.

وَالصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قسمَان: مِنْهُمُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَخَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ أَوْطَانَهُمْ وَخَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ مَرَاتعَ الصِبَا، وَرَيْعَانَ الشَّبَابِ.

فَهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ لَهُمْ فَضْلٌ عَظِيمٌ **" ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الصَّادِقُونَ فَقَالَ تَعَالَى {{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر : ٨]"**

وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ حِينَمَا تَرَكُوا خَلْفَهُمْ فَتَرَكُوا دِيَارَهُمْ وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ يَبْتَغُونَ مَاذَا؟ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ هَذَا الْفَضْلُ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الصَّادِقِينَ مِنَ السَّابِقِينَ مِنَ التَّمْكِينِ فِي الدُّنْيَا وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ، وَكَذَلِكَ مِنْ دُخُولِ جَنَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، وَقَدْ دَخَلُوا الْإِسْلَامَ يَبْتَغُونَ مَرْضَاةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَصَدَقُوا فِي

بَيْعَتِهِمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَالسَّعْيِ إِلَى تمكينه وَالذَّوْدِ عَنْهُ بِالْغَالِي وَالنَّفِيسِ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُمُ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ نَاصَرُوا الصَّحَابَةَ وَآوَوْهُمْ وَقَامُوا عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ وَقَدْ **" ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر : ٩]**

إِنَّهُمُ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ اسْتَقْبَلُوا الصَّحَابَةَ رضوان اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِالْحُبِّ وَالتِّرْحَابِ، وَالتَّأْيِيدِ وَالْبَذْلِ وَالْإِنْفَاقِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ إِيثَارِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، حِينَمَا آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَبَيْنَ أُسَيدِ بْنِ حُضَيْرٍ.

آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ هَذَيْنِ الصَّحَابِيَّيْنِ الْجَلِيلَيْنِ فَإِذَا بِالْأَنْصَارِيِّ يَأْتِي لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَقُولُ لَهُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ هَذِهِ دُورِي تَعَالَ لَكَ دَارٌ وَلِي دَارٌ، وَهَذِهِ أَمْوَالِي تَعَالَ نَقْتَسِمُهَا نِصْفَيْنِ وَتِلْكَ زَوْجَتِي انْظُرْ إِلَى أَيَّتِهِمَا أَعْجَبَتْكَ أُطَلِّقْهَا لَكَ.

فَهَكَذَا كَانَ الْأَنْصَارُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَلْ رَضُوا أَنْ يُشَارِكُوهُمْ فِيمَا يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِهِمْ وَلَكِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا أَصْحَابَ عِفَّةٍ، كَانَ الْمُهَاجِرُونَ، كَانُوا أَصْحَابَ مروئة، فَلَمْ يَرْضَوْا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَالِكَ وَأَهْلِكَ وَأَرْضِكَ وَبَيْتِكَ ثُمَّ شَرَعَ فِي الِاتِّجَارِ فَامْتَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِفَضْلٍ مِنْهُ وَنِعَمة.

وَبَاقِي الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، لَمْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا نُشَارِكُكُمْ بِالْعَمَلِ وَتُشَارِكُونَنَا بِنِصْفِ الثَّمَرِ،

فَقَامُوا عَلَى الشَّرِكَةِ، وَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يَأْخُذُوا مِمَّا يَنْتَجُ مِنْ أَرْضِهِمْ بِلَا بَذْلٍ وَلَا جَهْدٍ.

فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَبَذَلُوا، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ اسْتَقْبَلُوا وَآوَوْا وَأَكْرَمُوا.

"ثم ذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَالَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوا صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِحْسَانٍ فَقَالَ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر : ١٠]

الْمُؤْمِنُ صَاحِبُ سَرِيرَةٍ طَيِّبَةٍ، الْمُؤْمِنُ صَاحِبُ قَلْبٍ نَاصِعٍ فِي الْبَيَاضِ، الْمُؤْمِنُ لَا يَحْمِلُ غِلًّا وَلَا حِقْدًا وَلَا غِشًّا وَلَا حَسَدًا.

الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ إِخْوَانَهُ، يُحِبُّهُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، يُحِبُّهُمْ أَحْيَاءً فَيَقُومُ بِمَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ تُجَاهَهُمْ، وَيُحِبُّهُمْ أَمْوَاتًا فَيَدْعُو لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَجْعَلُ خَاتِمَةَ الْمَرْءِ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، فَمَنْ نَصَع قَلْبهُ وَابَيَّضَ وَتَطَهَّرَ مِنْ ذَلِكَ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ مَعَها أَكْفَانٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وحَنوطٌ مِنْ حنوط الْجَنَّةِ، يَقُولُونَ: "يا أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب اخرجي إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان "

أَمَّا أَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْفَاسِدَةِ، أَصْحَابُ الْقُلُوبِ الَّتِي مَلِئَت سَوَادًا بِالشِّرْكِ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ، فَعَلَى شَاكِلَةِ قُلُوبِهِمْ تَكُونُ نِهَايَاتُهُمْ وَتَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ عَلَى شَاكِلَةِ الْقُلُوبِ السُّودِ، يَقُولُونَ:"يَا أَيَّتُهَا الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ في الجسد الخبيث اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ."

فَتَخْرُجُ كَأَنتَنِ رِيحٍ وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ.

فَانظُرُ إِلَى حَالِ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ إِخْوَانَهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، يُحِبُّونَ مَنْ سَبَقَهُمْ وَيَدْعُونَ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ، {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا }

فَمَنْ حَمَلَ فِي قَلْبِهِ غِلًّا لِوَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا قَلْبُهُ أَسْوَدُ، قَلْبُهُ عَلَى شَاكِلَتِهِ، قَلْبُهُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ بِمَقْرُبَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَا مِنْ أَهْلِهَا.

وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ للصَّحَابَةِ رضوان اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثَلًا **"فَقَالَ تَعَالَى:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ**

لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح : ٢٩]

نبيُنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ صِفَاتُهُمْ أَنَّهُمُ رُّحَمَاءُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، يَتَرَاحَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، يَتَسَارَعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، {رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}، يَظْهَرُ فِي وُجُوهِهِمْ أَثَرُ إِيمَانِهِمْ، وَأَثَرُ عِبَادَاتِهِمْ، وَأَثَرُ أَحْوَالِهِمْ، ذَلِكَ هُوَ مَثَلُهُمُ الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي التَّوْرَاةِ.

وَأَمَّا مَثَلُهُمُ الَّذِينَ ضَرَبَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْإِنْجِيلِ {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ } [الفتح: ٢٩]

زَرْعٌ منذُ خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ يَنْمُو وَيَنْبُتُ نَبَاتًا حَسَنًا، زَاهِيًا زَاهِرًا، قَوِيًّا مُشْتَدًّا عَلَى سُوقِهِ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهِ زَارِعٌ مِنَ الزُّرَّاعِ أُعْجِبَ بِهِ، فَأَمَّا أَهْلُ الْكُفْرِ، فَأَمَّا أَهْلُ الضَّلَالِ فَيَغِيظُهُمْ ذَلِكَ، فَمَنِ اغْتَاظَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَذِهِ عَلَامَةُ

كُفْرِهِ، وَهَذِهِ عَلَامَةُ فُجُورِهِ، **" قَالَ الإِمَامُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ فِي قَلْبِهِ غَيْظٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْآيَةُ،"**

كلْ مَنِ اغْتَاظَ، عِنْدَ ذِكْرِ صَحَابِيٍّ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَوِ اغْتَاظَ حِينَمَا يُمْدَحُ هَذَا الصَّحَابِيُّ، وَتُذْكَرُ مَنَاقِبُهُ، وَتُذْكَرُ شَمَائِلُهُ، فيجدُ فِي قَلْبِهِ غَيْظًا أَوْ غِلًّا أَوْ حَسَدًا، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ صَارَ بِذَلِكَ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَالَ ذَلِكَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحمَة اللَّهُ عَلَيْهِ، "مَنْ أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ فِي قَلْبِهِ غَيْظٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْآيَةُ،"

وَهَذَا عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، فَمَا بالُكَ بِمَنْ خَرَجَ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِهِ سَبًّا وَشَتْمًا، وَخَرَجَ عَلَى بَنَانِهِ كِتَابَةً وَتَسْوِيدًا وَتَسْطِيرًا وَقَدْحًا، فَمَا بالُكَ بِمَنِ ادَّعَى أَنَّهُ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِسَبِّ الشَّيْخَيْنِ، شَيْخِيْ الْإِسْلَامِ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ، وَهَذَا فِي حَرَمِ اللَّهِ، وَهُوَ يدَّعي زُورًا وَبُهْتَانًا أَنَّهُ يَطُوفُ بِبَيْتِ اللَّهِ، وَيَقِفُ عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُهَاجِرِينَ بِهِجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ، وَذَكَرَ الْأَنْصَارَ بِنُصْرَتِهِمْ وَإِيوَائِهِمْ، **"وَقَالَ سُبْحَانَهُ {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال : ٧٤]"**

الْإِيمَانُ لَيْسَ بِالْقَوْلِ الَّذِي يُدَّعَى، وَلَا بِالرَّسْمِ الَّذِي يُرْسَمُ، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ حَرَكَةُ حَيَاةٍ، الْإِيمَانُ بَذْلٌ وَجِهَادٌ، الْإِيمَانُ نُصْرَةٌ وَقِيَامٌ، مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ تُجَاهَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتجَاهَ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتجَاهَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ تجَاهَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ.

بَيَّنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضِيلَةَ الْبَذْلِ وَالْإِنْفَاقِ فِي هَذَا الدِّينِ، **"فَقَالَ تَعَالَى فِي الصَّحَابَةِ مُبَيِّنًا فَضِيلَةَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ،**

أَيْ قَبْلَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَقَاتَلَ، وَكُلًّا مِنَ الْمُنْفِقِيْنِ" وَلَكِنْ إِنْفَاقٌ دُونَ إِنْفَاقٍ، وَبَذْلٌ دُونَ بَذْلٍ،

"فَقَالَ سُبْحَانَهُ {لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد : ١٠]"

{لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ } إِنْفَاقٌ وَقِتَالٌ قَبْلَ الْفَتْحِ، وَإِنْفَاقٌ وَقِتَالٌ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ كَانَ يُنْفِقُ وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا شَيْءٌ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ بُرُوقِ الْوُعُودِ شَيْءٌ، يُنْفِقُ بِلا رُؤْيَةٍ لِمَا يُنْفِقُ مِنْ أَجْلِهِ، وَبِلَا أَمْرٍ يُؤَيِّدُهُ عَلَى فِعْلِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ قَبْلَ الْفَتْحِ، وَأَمَّا بَعْدَ الْفَتْحِ أَيْ تَحَقّق مَا تَحَقَّقَ لِلْإِسْلَامِ مِنْ وُجُودٍ وَكِيَانٍ، فَهَذَا إِنْفَاقٌ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِهَذَا الدِّينِ أَظْهَرَ لَهُ حُجَّةً وَأَظْهَرَ لَهُ قُدْرَةً وَأَظْهَرَ لَهُ مَكَانَةً حَتَّى فِي نُفُوسِ الْمُشْرِكِينَ.

بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْإِنْفَاقَيْنِ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي"

وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: "لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي".

"فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ".

لَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْفَقَ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ الْفَتْحِ لَا يُسَاوِي مَنْ أَنْفَقَ ذَلِكَ الْمُدَّ أَوْ نَصِيفَهُ قَبْلَ الْفَتْحِ وَلَوْ كَانَ مِنْ بُرٍّ أَوْ شَعِيرٍ.

"وَالْمُدُّ رُبْعُ الصَّاعِ وَالنَّصِيفُ نِصْفُ الْمُدِّ.وَالْمَعْنَى مَا بَلَغَ هَذَا الْقَدْرُ الْيَسِيرُ مِنْ فَضْلِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ."

فَهَذِهِ شَهَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

"وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي".

وَهَذِهِ مُطْلَقَةٌ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي) خَيْرُ النَّاسِ مُنْذُ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا يُقَالُ عَنْهُ نَاسٌ.

(خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً؟ **"ثُمَّ إِنَّ بَعْدَهُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ".**

بَعْدَ هَؤُلَاءِ يَأْتِي أَقْوَامٌ لَا يَعْبَئُونَ بِأَقْوَالِهِمْ وَلَا يَعْبَئُونَ بِشَهَادَاتِهِمْ، وَلَا يَعْبَئُونَ بِالْأَمَانَاتِ الَّتِي أُلْقِيَتْ عَلَى كَاهِلِهِمْ، وَلَا يَعْبَئُونَ حَتَّى بِمَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَنْذُرُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ وَهِيَ دَلَالَةٌ عَلَى إِقْبَالِهِمْ عَلَى الدُّنْيَا أَكْلًا وَشُرْبًا وَتَنَعُّمًا.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْفَارِقَ الظَّاهِرَ الْوَاضِحَ الْبَيِّنَ بَيْنَ مَنِ ادَّعَى الْإِيمَانَ حَقِيقَةً وَبَيْنَ مَنِ ادَّعَى الْإِيمَانَ زَعْمًا حُبُّ الْأَنْصَارِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَخرجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا **"عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ".** أَيْ عَلَامَةُ الْإِيمَانِ تِلْكَ العَلَامَةُ الوَاضِحَةُ البَيِّنَةُ اللَائِحَةُ، عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْأَنْصَارِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ "وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ"

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُكَ أَنَّنَا نُحِبُّ الْأَنْصَارَ الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا نُحِبُّهُمْ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ، وَلِمَحَبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ، وَنُحِبُّهُمْ لِمَا أَسْدَوْا لِلْإِسْلَامِ مِنَ الْفِعْلِ الْحَسَنِ وَالْبَذْلِ الْجَمِيلِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ يُوَرِّطُ فِي أَمْرٍ يَعْنِي بُغْضُ الْأَنْصَارِ يُوَرِّطُ فِي أَمْرٍ لَيْسَ بِالْهَيِّنِ وَحُبُّ الْأَنْصَارِ يَسُوقُ إِلَى أَمْرٍ لَيْسَ بِالْهَيِّنِ،

"فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ:"لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ".

فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ".فَهَنِيئًا لِمَنْ حَقَّقَ مَحَبَّةَ الْأَنْصَارِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ صَارَ مِمَّنْ يُحِبُّهُم اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهَذِهِ طرائقُ الْوُصُولِ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، فَمِنْ طُرُقِ وَسُبُلِ الْوُصُولِ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ أَنْ تُحِبَّ الْأَنْصَارَ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

بَلْ حُبُّ الْأَنْصَارِ عَلَامَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَامَةٌ فَارِقَةٌ لَائِحَةٌ عَلَى وُجُودِ الْإِيمَانِ وَاسْتِقْرَارِهِ، وَبُغْضُ الْأَنْصَارِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى خُلُوِّ الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ وَفَرَاغِهِ.

"فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ".

"وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي قِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ:"إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ".

انْظُرُ إِلَى قَدْرِ الْأَنْصَارِ فِي نُصْرِهِمْ وَدِفَاعِهِمْ عن دِين اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَعَرُّضِهِمْ لِلْهَلَكَةِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ يُجَالِدُونَ عَنْ

دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يُنَافِحُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، فَكَانَ مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَفَرَ لَهُمْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِمْ وَمَا تَأَخَّرَ.

وَهَذَا حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ لَمَّا أَفْشَى سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَوْنِهِ عَازِمًا عَلَى فَتْحِ مَكَّةَ وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ أَعْطَاهُ إِلَى امْرَأَةٍ فَسَارَتْ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ تَكْشِفُ لَهُمْ ذَلِكَ، وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخْبِرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ. فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَاطِبٍ

وَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ يَا حَاطِبُ؟

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ الْكُفْرَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ لَكِنْ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ يَدٌ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي يَدٌ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُغَيِّرُ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ شَيْءٌ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ،

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْهُ يَا عُمَرُ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ."

فَهَذَا قَدْرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَغَفَرَ زَلَّاتِهِمْ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِسَابِقِ فَضْلِهِمْ وَجِهَادِهِمْ وَبَذْلِهِمْ.

أَصْحَابُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَايَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْعَةَ الرِضْوَانِ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى بِبَيْعَةِ الْمَوْتِ.

فَقَدْ كَانَ عَدَدُهُمْ حَوَالَيْ ألفا وخمسمائة، وَقَدْ مَنَعَتْهُمْ قُرَيْشٌ مِنْ دُخُولِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الجِلادِ الْجِهَادِ، وَأَيْنَ يَأْتِي هَذَا الْعَدَدُ مِنْ قُرَيْشٍ وَحُلَفَائِهَا؟

وَلَكِنْ لَمَّا بَايَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجِهَادِ لَمْ يَتَلَكَّأُوا وَلَمْ يَتَخَلَّفُوا وَلَمْ يَتَرَاجَعُوا بَلْ أَقْدَمُوا غَيْرَ خَائِفِينَ وَلَا مُتَرَدِّدِينَ،

لِذَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا امْتَنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ، **"فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ:"لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا" وَكَانَ عَدَدُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبِعِمِائَةٍ مِنْ جُمْلَتِهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.**

الصَّحَابَةُ فِي مَجْمُوعِهِمْ خَيْرُ أُمَّةٍ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ، وَلَكِنَّ النَّاسَ دَرَجَاتٌ فَخَيْرِيَّةُ أَحَدِهِمْ تُفضُلُ خَيْرِيَّةَ بَعْضِهِمْ. وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَبَرُ عِنْدَ عُلَمَائِنا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ.

فَالصَّحَابَةُ لَهُمْ تَرْتِيبٌ فِي الصُّحْبَةِ وَفِي الْفَضْلِ وَهَذِهِ عَقِيدَةٌ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ **"أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا إِجْمَاعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ.**

وَقَدْ تَوَاتَرَ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ."

وَيُثَلِّثُ أَهْلُ السُّنَّةِ بِعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هَؤُلَاءِ لَا يُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا يَرْضَوْنَ بِتَقْدِيمِ أَحَدٍ عَلَى هَؤُلَاءِ، فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُقَدَّمًا عِنْدَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِم، لِذَا لَمَّا أَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يُوَلِّيَ عُمَرَ يَوْمَ السَّقِيفَةِ قَالَ عُمَرُ: "وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ لَكَ سَوْأَةً كَهَذِهِ يَا أَبَا بَكْرٍ أَنَا أَكُونُ عَلَيْكَ إِمَامًا."

وَلَمْ يَرْضَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ حَيٌّ، وَكَانَ يَجْلِدُ مَنْ فَضَّلَ عُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَذَلِكَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَجْلِدُ مَنْ فَضَّلَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ هَذَيْنِ، وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَذَلِكَ يَجْلِدُ مَنْ فَضَّلَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَوْ عُمَرَ أَوْ عُثْمَانَ.

أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ وَعَرِّفُوا لِلنَّاسِ أَقْدَارَهُمْ هذا هو الْحَقُّ الْمُبِينُ وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: {وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}

فَعَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ طَبَقَاتٌ فَطَبَقَةٌ أَعْلَى مِنْ طَبَقَةٍ وَطَبَقَةٌ بَعْدَ طَبَقَةٍ، حَتَّى أَصْحَابُ الطَّبَقَةِ الْوَاحِدَةِ يَتَفَاوَتُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

وَمِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ **"الْمُعْتَقَدُ الصَّحِيحُ فِي آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَحَبَّةُ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِهِمْ وَشَرَفِهِمْ هَذَا مُعْتَقَدٌ يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَلًا بِوَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ حَيْثُ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ:"أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ:أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ" فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ.**

ثُمَّ قَالَ: "وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُوصِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ وَمَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ أَنِ يتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَنْ يُؤَدُّوا لَهُمْ حَقَّهُمْ وَلَا يَهضِمُوهُمْ حُقُوقَهُمْ مِمَّا لَهُمْ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ:"

وَلَا نُنْكِرُ الوَصاةَ بِأَهْلِ الْبَيْتِ" يَعْنِي لَا نُنْكِرُ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ وَلَا نُنْكِرُ **"الْأَمْرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَاحْتِرَامِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ، فَإِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ طَاهِرَةٍ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ وُجِدَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَخْرًا وَحَسَبًا وَنَسَبًا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانُوا مُتَّبِعِينَ لِلسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيَّةِ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ كَالْعَبَّاسِ وَبَنِيهِ وَعَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ."**

إِنَّ حِفْظَ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ كَحِفْظِهِ فِي حَيَاتِهِ، لِأَنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ يَتّصِلُونَ إِلَيْهِ وَيَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ مَحَبَّتَهُ فِي الْحَيِّ فَلْيُظْهِرَ مَحَبَّتَهُ فِي أَهْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

وأخُصُّ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْوَاجَهُ، فَزَوْجُ الرَّجُلِ تُنْسَبُ إِلَيْهِ. وَفِي ذَلِكَ يقَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ يُخَاطِبُ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"**{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)} [الأحزاب : ٣٣-٣٤]**

فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ آلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:"الْآيَةُ نَصٌّ فِي دُخُولِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ هَاهُنَا، لِأَنَّهُنَّ سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ، وَسَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ دَاخِلٌ فِيهِ قَوْلًا

وَاحِداً، إِمَّا وَحْدَهُ عَلَى قَوْلٍ أَوْ مَعَ غَيْرِهِ عَلَى الصَّحِيحِ" يَعْنِي سَبَبَ الْآيَةِ يَدْخُلُ الْمَذْكُورُ فِيهَا فِي أَوْصَافِهَا.

"فَدَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:"خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب: ٣٣]". رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ."

آلُ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ بِسَبَبٍ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَذَا السَّبَبِ، يُحِبُّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِم، يُحِبُّ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُحِبُّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحِبُّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يُحِبُّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، يُحِبُّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَهَذِهِ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَنْ أَحَبَّ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ أَحَبَّ مَنْ أَحَبُّوهُ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا يُحِبُّونَ الصَّحَابَةَ وَيُجِلُّونَهُمْ وَيُوَقِّرُونَهُمْ وَيُؤَدُّونَ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ، فَمَا عَرَفْنَا مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ هَضَمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ وَلَا عُثْمَانَ، وَمَا عَلِمْنَا مِنْ زَوْجَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُنَّ انتَقَصْنَ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يُجَاهِدُونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاء مَنْ جَاهَدَ مِنْهُمْ بِنَفْسِهِ أَوْ بِمَالِهِ أَوْ بِعِلْمِهِ أَوْ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ شَأْنِهِ، فَهَذِهِ مِمَّا تُؤخَذُ عَلَى مَنْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ آلَ الْبَيْتِ

يُحِبُّونَ آلَ الْبَيْتِ وَيَقَعُونَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، يُحِبُّونَ آلَ الْبَيْتِ وَيُكَفِّرُونَ الصَّحَابَةَ وَاللَّعْنَةُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، يُحِبُّونَ آلَ الْبَيْتِ وَلَا يُحِبُّونَ مَنْ كَانَ آلُ الْبَيْتِ يُحِبُّونَهُمْ، هَذَا وَاللَّهُ مِنَ الشَّطَطِ

وَمِمَّا تَصِحُّ بِهِ الْمُعْتَقَدَاتُ فِي مُعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ فَكَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَكِنْ الْإِنْصَافُ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْمُعْتَقَدُ فِيهَا عَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

فَيعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ **"فِي كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ مَا تَوَاتَرَتْ بِهِ النُّصُوصُ مِنْ وُقُوعِ كَرَامَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ."**

وَالْوَلِيُّ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَيْسَ هُوَ الَّذِي يَبُولُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ يَدَّعِي الْخَوَارِقَ وَالْكَرَامَاتِ وَهُوَ بِمَا بُعْدُهُ عَنْ دِينِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

بَلِ الْوَلِيُّ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ **"مَنْ فَعَلَ الْمَأْمُورَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَاجْتَنَبَ مَا جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ"** فَهُوَ تَقِيٌّ، وَالتَّقْوَى فِعْلُ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكُ الْمَحْذُورَاتِ انْطِلَاقًا مِنْ **"قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)} [يونس : ٦٢-٦٣]**

فَالْوَلِيُّ هُوَ الْمُؤْمِنُ التقي، وَالْإِيمَانُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ الْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ، وَالتَّقْوَى لَا تَكُونُ إِلَّا بِفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْذُورَاتِ. فَالْأَوْلِيَاءُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ.

"فَبِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى تَكُونُ الْوِلَايَةُ." مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَلِيًّا فَلْيَكُنْ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا وَلِشَرْعِهِ تَقِيًّا.

" والكرامة: أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ يُجْرِيهِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدِ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَائِهِ مَعُونَةً لَهُ عَلَى أَمْرٍ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ. لَكِنْ لَا تَصِلُ كَرَامَةُ الْوَلِيِّ إِلَى مِثْلِ الْمُعْجِزَاتِ وَالْآيَاتِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ."

فَمَا يؤتيه اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْبِيَائِهِ فَهَذِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ وَهِيَ مُعْجِزَاتٌ يَعْجَزُ عَنِ الِاتِيَان بِهَا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُشَابِهَهَا أَوْ يُمَاثِلَهَا.

أَمَّا الْكَرَامَاتُ فَهِيَ كَرَامَاتٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِبَعْضِ **" أَوْلِيَائِهِ كَقِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَقِصَّةِ مَرْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا جَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، فَأَمَرَهَا اللَّهُ أَنْ تَهُزَّ بِجِذْعِهَا لِتَتَسَاقَطَ عَلَيْهَا رُطَبًا جَنِيًّا، وَرِزقُ اللَّه لَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَلِكَ بِوُجُودِ فَاكِهَةِ الشِّتَاءِ عِنْدَهَا فِي الصَّيْفِ وَفَاكِهَةِ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ،"**

"وَقِصَّةُ آصِفَ كَاتِبِ سُلَيْمَانَ" الَّذِي أَتَى لَهُ بِعَرْشِ بَلْقِيسَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ بَصَرُهُ.

"وَقِصَّةُ الرَّجُلِ الَّذِي أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ وَقِصَّةُ جُرَيْجٍ الرَّاهِبِ وَقِصَّةُ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَشْتهرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ثَابِتٌ بِالْقُرْآنِ أَوْ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ أَوْ بِمَا صَحَّ عَنِ السَّلَفِ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ."

فَهَذِهِ كَرَامَاتٌ وَلَيْسَتْ بِآيَاتٍ أَوْ مُعْجِزَاتٍ

"وَالْكَرَامَةُ مَوْجُودَةٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ لِأَنَّ سَبَبَهَا الْوِلَايَةُ وَالْوِلَايَةُ مَوْجُودَةٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ" كَم من رَّجُلِ خَفِيّ هُوَ لِلَّهِ وَلِيٌّ، يُجْرِي اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى يَدِهِ كَرَامَاتٍ، يُجْرِي اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى يَدِهِ فيوضاته، هَذِهِ الْكَرَامَاتِ تَكُونُ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ بما هُوَ آخِذٌ مِنَ الِاتِّبَاعِ الصَّحِيحِ،

وَالِاعْتِقَادِ الَّذِي لَا زَيْغَ فِيهِ وَلَا ضَلَالٌ وَلَا شُبْهَةَ، الَّذِي يَتَّقِ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ.

"وَمَنْ جَاءَ بِخَارِقٍ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُزَكِّيًا لَهُ دَالًّا عَلَى وِلَايَتِهِ حَتَّى يُعْرَضَ عَمَلُهُ كُلُّهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَيُعْرَفُ بِالْمُوَافَقَةِ لَهُمَا وَاتِّبَاعِهِمَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا."

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: " لَوْ رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ أَوْ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ فَلَا تَعْتَدُّوا بِذَلِكَ حَتَّى تَعْرِضُوا عَمَلَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنْ وَافَقَهُمَا فَهِيَ كَرَامَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَّةٌ وَإِنْ خَالَفَهُمَا فَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ ضُرُوبِ السِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَتَخَيِيلَاتِ الشَّيَاطِينِ.

"ومِنْ فَضَائِلِ الْأَوْلِيَاءِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"

فَلْيَحْذَرْ أَقْوَامٌ يُعَادُونَ أَقْوَامًا قَدْ يَكُونُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْلِيَاءُ، فَإِذَا مَا أَظْهَرُوا لَهُمُ الْعَدَاءَ وَإِذَا مَا أَبْطَلُوا لَهُمْ أَعْمَالًا غَيْرَ صَالِحَةٍ فِي الْخَفَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُعْلِنُ عَلَيْهِمُ الْحَرْبَ، وَمَنْ يُطِيقُ أَنْ يَقِفَ فِي حَرْبٍ أَمَامَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَاكِرٌ بِالْمَاكِرِينَ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُخَادِعٌ لِلْمُخَادِعِينَ.

مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ التَّعَامُلُ مَعَ وُلَاةِ الْأَمْرِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا عَلَى حَسَبِ الْهَوَى وَالْبِدْعَةِ:

" فَالْمُعْتَقَدُ الصَّحِيحُ فِيمَا يَجِبُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ طَاعَةَ وُلَاةِ أَمْرِهِمْ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ."

فَطَاعَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُمْ دِينٌ يُدَانُ بِهِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَمَلٌ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ فِي السَّعَةِ وَالضِّيقِ، لِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ " يَعْتَقِدُونَ

مَعْنًى قَوْلهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" حِينَ أَمَرَ أَمْرا هُوَ لِعُبَادَةَ فِي ظَاهِرِهِ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْأُمَّةِ جَمِيعًا فِي حَقِيقَتِهِ وَبَاطِنِهِ، لِأَنَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، هوَ أَمْرٌ إِلَى الْأُمَّةِ إِلَى قِيَامِ ا **"فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ: "اسْمَعْ وَأَطِعْ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً". أَخَرَّجَهُ حِبَّانِ فِي صَحِيحِهِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.**

"

هَذَا الْحَدِيثُ لا يقِفُ عِنْدَ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَكِنْ هُوَ لِي وَلَكَ، وَلَكِ وَلَهَا، لِكُلِّ مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ الْحَدِيثُ، كَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بَلْ هُوَ كَذَلِكَ- يَقُولُ لَكَ: يَا فُلَانُ يَا ابْنَ فُلَانٍ، يَا فُلَانَةُ يَا بِنْتَ فُلَانٍ، يَا كَذَا يَا كَذَا اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فِي

عُسْرِكُمْ وَيُسْرِكُمْ وَمَنْشَطِكُمْ وَمَكْرَهِكُمْ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكُمْ وَإِنْ أَكَلُوا أَمْوَالَكُمْ وَضَرَبُوا ظُهُورَكُمُ اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَهُنَا وُجُوبُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً يَعْنِي إِلَّا أَنْ يَأْمُرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ، وَلَكِنْ لَا تَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ وَبَيْعَةٍ

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ **"يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ الْخُرُوجِ عَلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا مَا لَمْ يَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَهُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ"**

وَالْكُفْرُ الْبَوَاحُ وَالْكُفْرُ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَنْظِيرٍ وَاجْتِهَادٍ وَتَقْعِيدٍ يَعْنِي يَرَى الْعَامِّيُّ وَطَالِبُ الْعِلْمِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَالْمُجْتَهِدُ يَرَى وَلِيَّ الْأَمْرِ قَدْ أَتَى مُكَفِّرًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ هَذَا هُوَ الْكُفْرُ الْبَوَاحُ. فَلا يقِفُ عَلَى الْفِعْلِ بَلْ يَبُوحُ وَلِيُّ الْأَمْرِ بِمَا هُوَ جَارٍ فِي مَكْنُونِ قَلْبِهِ وَخَلِجَاتِ ضَمِيرِهِ بِمَا يُفَسِّرُ فِعْلَهُ عَلَى أَنَّهُ كُفْرٌ.

وَهُنَا يَأْتِي أَمْرٌ آخَرُ وَهُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى مُوَاجَهَةِ ذَلِكَ الْكُفْرِ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ مُنَاطُ التَّكْلِيفِ وَلَا تَكْلِيفَ بِغَيْرِ مَقْدُورٍ.

" فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ الْخُرُوجِ عَلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا مَا لَمْ يَكُنْ كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَهُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ وَذَلِكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَبْغَضُونَهُمْ وَيَبْغَضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ".

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ يَعْنِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَلَ بُغْضُهُمْ إِلَى قُلُوبِنَا حَتَّى تَكَلَّمَتْ بِآثَارِ الْبُغْضِ أَلْسِنَتُنَا أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: "لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَكَرِّهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ".

فَهَذَا وَاضِحٌ صَرِيحٌ فِي أَنَّ مَا يَقُومُ بِهِ أُولَئِكَ الْخَوَارِجُ لَا هُوَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا مِنْ قَبِيلِهِ وَلَا مِنْ نَظِيرِهِ وَلَا مِمَّا يَمُتُّ لَهُ بِصِلَةٍ، وَلَكِنَّهُ دِينُ الْأَهْوَاءِ يَا صَاحِبِي، دِينُ المَشَايِخِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْكهوفِ الْمُظْلِمَةِ، دِينُ أَصْحَابِ التَّقِيَّةِ أَشْبَاهِ رُؤَسَاءُ الشِّيعَةِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ أَمْرًا وَيُبْطِلُونَ آخَرَ، الَّذِينَ يُشَابِهُونَ الْمُنَافِقِينَ فِي حَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ **"فِي لَفْظِ:"أَلَا مَنْ وُلِّيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ". أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**

"أَلَا مَنْ وُلِّيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ" يَعْنِي يَأْتِي أَمْرًا فِيهِ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ ممَّا لَمْ يَشْرَعْهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَلَمْ يَأْتِ بِهِ

دَلِيلٌ عَنِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ (فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ) وَلَكِنْ لَا يُبِيحُ لَهُ ذَلِكَ أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يُبغَضَ ذَلِكَ

(وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ.) الْخَارِجُ عَلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ عُقُوبَتُهُ شَدِيدَةٌ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ فَهُوَ خَارِجٌ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِ الْحَقِّ لِأَنَّ مَنْ **"يَخْرُجُ عَنِ الْجَمَاعَةِ يُلْحِقُ بِهِ الشَّارِعُ عُقُوبَاتٍ غَلِيظَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَتَنَاسَبُ مَعَ عِظَمِ جَرِيمَتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ مَاتَ وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الطَّاعَةِ مُفَارِقٌ مِنْ جَمَاعَةٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً."**

وَمَعْنَى "مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً" أَيْ مَاتَ عَلَى مَا كَانَ يَمُوتُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ فَقَدْ كَانُوا يَعِيشُونَ الْحَيَاةَ بِلَا ضَابِطٍ وَلَا رَابِطٍ وَلَا حَاكِمٍ وَلَا إِمَامٍ فَمَاتَ لَا يَرَى لَهُ حَاكِمًا وَلَا يَرَى لَهُ إِمَامًا وَلَا يَرَى لَهُ مُطَاعًا فَقَدْ شَابَهَهُمْ فِيمَا مَاتُوا عَلَيْهِ، وَهَذَا إِنْ دَلَّ فَإِنَّمَا يدَلَّ أَنَّهُ

لَمْ يَمُتْ عَلَى السُّنَّةِ لِأَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِزَالَتِهَا وَتَغْيِيرِهَا فَبَعْدَ أَنْ كَانَتِ جَاهِلِيَّةُ صَارَتْ أُمَّةً إِسْلَامِيَّةً.

"وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَنْهُ" يَعْنِي لَا تسْأَلُ عَلَى مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ **"وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنْ عِظَمِ ذَنْبِهِ وَشِدَّةِ جُرْمِهِ."**

" وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَلَا حُجَّةَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ" لِأَنَّ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا} [الزمر: ٧٣].

فَهَذَا شَذَّ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ.

"وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَهُ يَرْتَكِض ، وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ حَلَّ دَمُهُ".

مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَهُوَ خَرَجَ مِنْ زُمْرَةِ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ إِلَى أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، فَهُوَ يَسِيرُ مَعَ شَيْطَانِهِ وَمَعَ هَوَاهُ وَمَعَ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عِيَاذًا بِاللَّهِ ولياذا بِجَنَابِهِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُحِبُّونَ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ حَاكِمًا وَمَحْكُومًا ظَالِمًا وَمَظْلُومًا طَائِعًا وَعَاصِيًا، لِذَا **"يعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدُّعَاءَ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ مِمَّا يُحْمَدُ وَيتَأَكَّدُ وَهُوَ عَلَامَةُ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ كَمَا قَالَ الْبَرْبَهَارِيُّ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ."**

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ السُّنِّيَّ مِنْ غَيْرِ السُّنِّيِّ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ حِينَ ذِكْرِ وَلِيِّ الْأَمْرِ فَأَهْلُ السُّنَّةِ يُحِبُّونَ وُلَاةَ أُمُورِهِمْ وَيَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْبِطَانَةِ الصَّالِحَةِ وَيَتَلَمَّسُونَ لَهُمُ الْأَعْذَارَ وَيَعْتَبِرُونَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ مَهَامَّ وَأَخْطَارٍ فَيَجْعَلُونَ لَهُمُ الْمَعَاذِيرَ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ فَبُغْضُ وُلَاةِ الْأَمْرِ مُتَجَذِّرٌ فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي ذَلِكَ يقول الْبَرْبَهَارِيُّ: **"إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَى السُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو لِلسُّلْطَانِ بِالصَّلَاحِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ".**

وَهَذَا الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ قَالَ: **"لَوْ كَانَ لِي دَعْوَةٌ مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ". فَأُمِرْنَا أَنْ نَدْعُوَ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَلَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُوَ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا ظَلَمُوا لِأَنَّ جَوْرَهُمْ وَظُلْمَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ وَصَلَاحَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ.**

فَالْمُسْلِمُ يجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ لُوَلَاةِ الْأَمْرِ

"وَ قَالَ الْإِمَامُ الصَّابُونِيُّ فِي عَقِيدَةِ السَّلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ يَرَوْنَ الدُّعَاءَ لُوَلَاةِ الْأَمْرِ بِالْإِصْلَاحِ وَالتَّوْفِيقِ وَالصَّلَاحِ."

اللَّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُكَ أَنَّنَا نُحِبُّ وُلَاةَ أُمُورِنَا وَنَدْعُو لَهُمْ فِي لَيْلِنَا وَنَهَارِنَا وَنَدْعُو لَهُمْ فِي سُجُودِنَا وَأَسْحَارِنَا لِيُوَفِّقَهُمُ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ وَأَنْ يُرْشِدَهُمُ اللَّهُ بِالرُّشْدِ وَالْهُدَى وَالسَّدَادِ وَالتَّوْفِيقِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ **"يَرَوْنَ أَنَّ سَبَّهم"** أي وُلَاة الْأَمْرِ **"مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ شَرْعًا بِاتِّفَاقِ أَكَابِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"** وَقَدْ جَاءَ الدَّلِيلُ الصَّرِيحُ عَلَى ذَلِكَ **"مِنْ قَوْلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:"نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ وَلَا تَغُشُّوهُمْ وَلَا تَبْغَضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْبِرُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ".**

رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السُّنَّةِ وَغَيْرِهِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَبْتَعِدُونَ عَنْ كُلِّ مَا يُوغرُ الصُّدُورَ وَيُؤَدِّي إِلَى الشِّقَاقِ وَالنُّفُورِ، فَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنِ الْجِدَالِ فِي الدِّينِ فَالنَّهْيُ عَنِ الْجِدَالِ فِي الدِّينِ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

"فينَّهَى أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَنِ الْجِدَال وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ إِذْ قَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ. فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:"اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ".

الْجِدَالُ يُورِثُ الْمِرَاءَ وَالْمِرَاءُ يُورِثُ الشِّقَاقَ وَالْعِنَادَ، وَالشِّقَاقُ وَالْعِنَادُ يُؤَدِّي إِلَى الِاخْتِلَافِ وَالتَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافُ وَالتَّفَرُّقُ يُؤَدِّي إِلَى تَضْيِيعِ الجُهُود وَتَشْتِيتِ الطَّاقَاتِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْمَلُ الشَّيْطَانُ عَمَلَهُ فَيَصِيرُ الْمُتَحَابُّونَ مُتَبَاغِضِينَ وَيَصِيرُ الْمُتَآلِفُونَ مُتَنَاحِرِينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ.

"فَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ وَأَصْلُهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ" أي يَتَكَلَّمُونَ فِي أَمْرِ الْقَدَرِ

"فَكَأَنَّمَا يُفْقأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ رُمَّانٍ مِنَ الْغَضَبِ."

هَذِهِ كِنَايَةٌ عَلَى غَضَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحمرارِ وَجْهِهِ مِمَّا وَجَدَ مِنْ فِعْلِ الصَّحَابَةِ رِضوان اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

" فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ"

" بَلْ جَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْجِدَالَ عُقُوبَةٌ مِنْ عُقُوبَاتِ اللَّهِ فِي الْأُمَّةِ، فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ" ثُمَّ قَرأَ: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا} [الزخرف: ٥٨].

لَا تَجِدُ الرَّجُلَ مُجَادِلًا إِلَّا وَهُوَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَارِغًا لِأَنَّهُ لَوْ مُلِئَ عِلْمًا وَحِكْمَةً مَا وَقَعَ وَمَا تَوَرَّطَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

وَلَقَدْ عَهِدْنَا شَيْخَنَا الْعَلَّامَةَ ابْنَ رَسْلَانَ حَفِظَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا وَجَدَ امْرَأً مُجَادِلًا إِلَّا انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَسِرْ فِي هَذِهِ الْهُوَّة وَلَا يَتَوَرَّطْ فِي هَذِهِ الْمَذمَّةِ لِعِلْمِهِ حَفِظَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَنَّ الْجَدَلَ لَيْسَ مِنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا مِنْ سَبِيلِ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَفَّقَهُمْ فِي السَّيْرِ إِلَى الصِّرَاطِ وَعَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

"قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ "أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقْتِدَاءُ بِهِمْ وَتَرْكُ الْبِدَعِ وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ وَتَرْكُ الْخُصُومَاتِ وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ."

هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ أَوَّلِ مَا أَصَّلَ لَهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

" أُصُولُ أَهْلِ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداءُ بِهِمْ وَتَرْكُ الْبِدَعِ وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ"

وَمِنْ أُصُولِ السُّنَّةِ "تَرْكُ الْخُصُومَاتِ وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ."

فَانْتَبِهْ يَا رَعَاكَ اللَّهُ أَنْ تَتَعَرَّضَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي يُخْرِجُكَ مِنْ أُصُولِ السُّنَّةِ الَّذِي يُخْرِجُكَ مِنْ جَادَّةِ أَهْلِ الْمِلَّةِ.

"وَالْجِدَالُ مِنْهُ مَا هُوَ مَذْمُومٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ مَحْمُودٌ، فَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِي جِدَالٍ بِالْبَاطِلِ أَوِ الْجِدَالِ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ أَوِ الْجِدَالِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ الْمُحَاجُّ أَوِ الْجِدَالِ فِي الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوِ الْجِدَالِ بِغَيْرِ نِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ."

وَدُونَك حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَخَلَ الْمَقَابِرَ فَأَجَدَ امْرَأَةً تَبْكِي وَتَنُوحُ عَلَى وَلَدِهَا فَقَالَ "اتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرِي"

فَقَالَتْ "إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمِثْلِ مُصِيبَتِي."

مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ هَلْ أَخَذَ يُجَادِلُ وَيُرَاجِعُ وَيُكَافِحُ وَإِنَّمَا أَدَّى مَا عَلَيْهِ وَلَمَّا وَجَدَ الْمَحَلَّ غَيْرَ قَابِلٍ لِذَلِكَ النُّصْحِ وَالْإِرْشَادِ تَرَكَهَا.

فَلَمَّا أَفَاقَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى مَا تَوَرَّطَتْ فِيهِ وَقِيلَ لَهَا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَتْ تُهَرْوِلُ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَتْ إِلَى بَيْتِهِ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصْبِرُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى".

" وَهَذَا الْجِدَالُ الْمَحْمُودُ فَإِذَا كَانَ الْجِدَالُ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ وَبَيَانِهِ مِنْ عَالِمٍ لَهُ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ ملتَزِمٍ بِالْآدَابِ فَذَلِكَ مِمَّا يُحْمَدُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل : ١٢٥]

فَبَيَّنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ الْجِدَالَ مِنْهُ مَا هُوَ مَذْمُومٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ مَحْمُودٌ. فَأَمَّا الْمَذْمُومُ فَهُوَ الْجِدَالُ الَّذِي لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ كَثِيرُ نَفْعٍ بَلْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ كَثِيرُ ضُرٍ.

وَأَمَّا الْجِدَالُ مِنْ عَالِمٍ نِحْرِيرٍ أَوْ مِنْ خَبِيرٍ بَصِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَالِحِ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ فَهَذَا جَدَلٌ مَحْمُودٌ وَفِي ذَلِكَ **"يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: ٤٦]. وَقَالَ تَعَالَى: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [هود : ٣٢]**

فَهَؤُلَاءِ يُجَادِلُونَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنُوحٌ يُجَادِلُهُمْ وَهُوَ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.

" وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ مُحَاجَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ وَمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ فِرْعَوْنَ، وَفِي السُّنَّةِ ذَكَرُوا مُحَاجَّاتِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَنُقِلَ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عِبَارَاتٌ كَثِيرَةٌ وَكُلُّهَا مِنَ الْجِدَالِ الْمَحْمُودِ الَّذِي تَوَفَّرَ فِيهِ الْعِلْمُ وَالنِّيَّةُ وَالْمُتَابَعَةُ وأَدَبُ الْمُنَاظَرَةِ."

فَهَذَا الْجِدَالُ الْمَحْمُودُ لَابُدَّ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ: الْعِلْمِ بِمَا تُجَادِلُ فِيهِ، وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ النِّيَّةِ: مَا هِيَ نِيَّتُكَ عِنْدَ الْجِدَالِ؟ لِلِانْتِصَارِ لِلنَّفْسِ أَمْ لِلْوُصُولِ إِلَى مَحَابِّ الرَبِّ وَمَرَاضِيهِ.

وَأَنْ تَكُونَ فِي جِدَالِكَ مُتَابِعًا لِلنَّبِيِّ الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَائِرًا عَلَى رَكْبِ الْعُلَمَاءِ الصَّادِقِينَ، وَأَنْ تَكُونَ مُتَأَدِّبًا بِآدَابِ الْمُنَاظَرَةِ.

وأَمَّا الْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ وَأَمَّا الطَّيْشُ وَالسَّفَهُ ،وَأَمَّا الْكَلَامُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَأَمَّا شَقْشَقَةُ اللِّسَانِ وَالطَّنْطَنَةُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا بَيَانٍ، فَهَذِهِ مِمَّا تُورِثُ الشِّقَاقَ وَالْعِنَادَ.

فَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْبُعْدُ عَنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبُعْدُ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ.

التَّحْذِيرُ مِنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَلَقَدْ **" حَذَّرَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ تَحْذِيرًا شَدِيدًا لِأَنَّ مُجَالَسَتَهُمْ فِيهَا مُخَالَفَةُ أَمْرِ اللَّهِ وَهِيَ عَلَامَةُ مَحَبَّتِهِمْ. وَمُجَالِسُهُمْ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الِانْقِيَادِ إِلَى ضَلَالِهِمْ وَيُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ مُتَابَعَتِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ.**

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْبِدْعَةُ الَّتِي يُعَدُّ بِهَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مَا اشْتَهَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ مُخَالَفَتُهَا لِلْكِتَابِ

وَالسُّنَّةِ، كَبِدْعَةِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ."

النَّاسُ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ:

رَجُلٌ سُنِّيٌّ لَا شُبْهَةَ فِي سُنِّيَّتِهِ، وَرَجُلٌ بِدْعِيٌّ لَا شُبْهَةَ فِي بِدْعَتِهِ، وَرَجُلٌ بَيْنَ بَيْنَ فَهَذَا مَدْعُوٌّ لَيْسَ بِسُنِّيٍّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ الْخُلَّصِ وَلَا هُوَ بِدْعِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ الْخُلَّصِ. فَانْتَبِهْ عَبْدَ اللَّهِ إِلَى هَذَا التَّقْسِيمِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ تَوَرَّطَ فِي بِدْعَةٍ صَارَ مُبْتَدِعًا وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ وَافَقَ مُبْتَدِعًا فِي بِدْعَتِهِ يَصِيرُ مُبْتَدِعًا، وَإِنَّمَا لَابُدَّ مِنْ تَحَقُّقِ الشُّرُوطِ، تَوَافُرِ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَاشْتِهَارِ الرَّجُلِ بِالْبِدْعَةِ لِكَوْنِهِ قَدْ أَلَمَّ بِأَصْلٍ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَتَوَرَّطَ فِيهِ إِلَى أذنابِه.

نَهَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ **"فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**

حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام : ٦٨]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كُلُّ مُحْدِثٍ فِي الدِّينِ وَكُلُّ مُبْتَدِعٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". نَقَلَهُ عَنْهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ.

وقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى النَّهْيِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْفَسَقَةِ عِنْدَ خَوْضِهِمْ فِي بَاطِلِهِمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مَمْرَضَةٌ لِلْقُلُوبِ.

أَهْلُ الْأَهْوَاءِ كَالْجَرَبِ مَنْ اقْتَرَبَ مِنْهُمْ أَصَابَهُ ذَلِكَ الدَّاءُ وَقَلَّ أَنْ يُشْفَى مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى بَيَّنَ الْحَقَّ حقا وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا.

وَيُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَعْرِفَ أَهْلَ الْحَقِّ بِوَضْعِهِمْ عَلَى مَا بَيَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أُصُولِ الْحَقِّ، وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ أَهْلَ الْبَاطِلِ، فَمَنْ وَافَقَ الْحَقَّ فَهُوَ مِنْ أَهْلِهِ وَمَنْ خَالَفَ الْحَقَّ فَهُوَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ.

وَالنَّاسُ عَلَى شَاكِلَةِ أَصْحَابِهِم، وَهَذَا عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لَمَّا شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتَبِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لَهُ صَاحِبٌ وَهُوَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ فَلَمَّا عَادَ مِنْ سَفْرَتِهِ قَالَ يَا عُقْبَةُ أَصَبَوَتَ؟ قَالَ نَعَمْ.

قَالَ أَتَّبَعْتَ مُحَمَّدًا؟ قَالَ نَعَمْ.

قَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا عُقْبَةُ؟ قَالَ عَرَضَ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ.

فَقَالَ يَا عُقْبَةُ "وَجْهِي عَلَى وَجْهِكَ حَرَامٌ وَطَعَامِي عَلَى طَعَامِكَ حَرَامٌ وَمَجْلِسِي عَلَى مَجْلِسِكَ حَرَامٌ حَتَّى تَسُبَّ مُحَمَّدًا."

فَانْظُرْ إِلَى الصَّاحِبِ وَإِلَى الْجَلِيسِ كَيْفَ غَيَّرَ طَرِيقَ جَلِيسِهِ، فَلَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى أَرَادَ أَنْ يُرْضِيَهُ، فَلَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَّهُ وَشَتَمَهُ فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَوْ يَوْمَ أُحُدٍ

وَفِيهِ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩)} [الفرقان : ٢٧-٢٩]

فَيا عَبْدَ اللَّهِ اعْرِفِ الْحَقَّ وَتَمَسَّكْ بِهِ وَكُنْ عَلَى الْجَادَّةِ فِيهِ، وَلَازِمْ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَى هَذَا الْحَقِّ، وَإِيَّاكَ وَالْبَاطِلَ وَإِيَّاكَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا يَغُرَّنكَ الشَّيْطَانُ فَتَغْتَرُّ بِمَا مَعَكَ مِنَ الْحَقِّ فَتَقُولُ أَجَالِسُ أَهْلَ الْبَاطِلِ.

فَإِنَّ عِمْرَانَ بْنَ حَطَّانَ كَانَ مِنْ شُيُوخِ الْبُخَارِيِّ يَعْنِي مِمَّنْ رَوَى عَنْهُمُ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ جَلْدًا فِي السُّنَّةِ وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةُ عَمٍّ خَارِجِيَّةً وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِالتُّقَى وَالْوَرَعِ، فَقَالَ أَتَزَوَّجُ بِهَا فَأَرُدُّهَا إِلَى السُّنَّةِ.

فَلَمَّا تَزَوَّجَ بِهَا لَا زَالَتْ بِهِ حَتَّى رَدَّتْهُ إِلَى الْبِدْعَةِ. فكان يَقُولُ شِعْرًا يُمَجِّدُ فِيهِ قَاتِلَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام : ٦٨]

الْحَقُّ يَحْتَاجُ إِلَى حِياطَةٍ، وَحِياطَةُ الْعِلْمِ بالعِلْمِ النَّافِعِ وَالصُّحْبَةِ الصَّالِحَةِ، فَإِن لمَ يَكن الْمَرْءُ قَائِمًا عَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ، يَتَعَلَّمُ كِتَابًا بَعْدَ كِتَابٍ، وَيَتَعَلَّمُ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ بَعْدَ بَابٍ. لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ رَقَّ دِينُهُ، وَإِنِ ابْتَعَدَ عَنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالصَّلَاحِ صَارَ بِمَقْرَبَةٍ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ.

وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَعْلَى قَدْرًا وَأَشْرَفُ فَضْلًا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف : ٢٨]

فَالْعِلْمَ الْعِلْمَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْحَقَّ الْحَقَّ عِبَادَ اللَّهِ تَمَسَّكُوا بِهِ.

فَهَذِهِ بَعْضُ أُصُولٍ مِمَّا يَجِبُ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ أَنْ يَعْتَقِدُوها وَهُوَ كِتَابٌ نَافِعٌ ماتِعٌ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ بَرْجَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

صَنَّفَهُ مُخْتَصَرًا لَطِيفًا وَكِتَابًا يُظْهِرُ الْحَقَّ فِيهِ بَيِّنًا لَائِحًا فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَا سَطَّرَهُ وَقَالَ فِي آخِرِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ كِتَابُ الْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ الْوَاجِبِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ اعْتِقَادُهُ.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ خَالِصًا وَلِسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَافِقًا وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ عُمُومَ الْمُسْلِمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

نحْسَبُهُ وَاللَّهُ حَسِيبُهُ كَانَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ فَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ بِهَذَا الْكِتَابِ الْقَبُولَ حَتَّى إِنَّهُ ليقرأ وَيُدَرَّسُ وَيُشْرَحُ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ جَمِيعًا.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُ حُجَّةً لَهُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ سَبَبًا فِي إِلْحَاقِهِ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى، وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

.....